ألف ليلة وليلة



قمر الزمان

ألف ليلة وليلة

قمر الزمان

راجعها

سعيد جودة السحار ، عبد الستار فراج

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

حكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان

١٩٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائة) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان ملك يسمى شهرمان ، صاحب عسكر وخدم واعوان ، إلا انه كبر بسنه ورق عظمه ، ولم يرزق بولد . فتفكر فى نفسه وحزن وقلق ، وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال : إنى اخاف إذا مت ان يضيع الملك لانه ليس لى ولد يتولاه بعدى .

فقال له ذلك الوزير : لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ، فتوكل على الله ايها الملك وتوضأ وصل ركعتين ، ثم ادخل على زوجتك واطلب من الله ان يرزقك ولدا .

ففعل الملك شهرمان ذلك ، فحملت زوجته ، ولما كملت اشهرها وضعت ولدا ذكرا كانه البدر السافر فى الليل العاكر ، فسماه قمر الزمان . وفرح به غاية الفرح ، وزينوا المدينة سبعة ايام ودقت الطبول واقبلت البشائر وحملته المراضع والدايات ، وتربى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا فى الحسن والجمال والقد والاعتدال .

وكان ابوه يحبه ولا يقدر ان يفارقه ليلا ولا نهارا ، فشكا الملك شهرمان لأحد وزرائه فرط محبته لولده وقال : ايها الوزير إنى خائف على ولدى قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان ، واريد ان ازوجه فى حياتى .

فقال له الوزير : اعلم ايها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق ولا بأس أن تزوج ولدك فى حياتك .



فعند ذلك قال الملك شهرمان : عليّ بولدى قمر الزمان .

فحضر واطرق إلى الأرض حياء من ابيه ؛ فقال له ابوه : يا قمر الزمان اعلم انى اريد ان ازوجك وافرح بك فى حياتى .

فقال له : اعلم يا ابى اننى ما لى فى الزواج ارب ، وليست نفسى تميل إلى النساء لاننى وجدت فى مكرهن كتبا بالروايات ، وبكيدهن وردت الآيات ، وقال الشاعر :

فإن تسألونى بالنساء فاننى	خبير بأحوال النساء طبيب
إذا شاب راس المرء او قل ماله	فليس له فى ودهن نصيب

وقال آخر :

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه	فلن يفوز فتى يعطى النسا رسنه
يعقنه عن كمال فى فضائله	ولو سعى طالبا للعلم الف سنه

ولما فرغ من شعره قال : يا ابى إن الزواج شىء لا افعله ابدا ، ولو سقيت كأس الردى .

فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما ، واغتم غما شديدا على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٩٤

(فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان اغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له ، ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام فى ذلك ولم يغضبه ، بل اقبل عليه واكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة إلى القلب . كل ذلك وقمر الزمان يزداد كل يوم حسنا وجمالا .

فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة ، وتهتك فى حسنه الورى ، ويروى لطفه كل نسيم سرى ، عذب الكلام ، ويخجل وجهه بدر التمام ، كأنه غصن بان ، او قضيب خيزران ، ظريف الشمائل ، كما قال فيه القائل :

بدا فقالوا تبارك الله ... جل الذى صاغه وسواه
مليك كل الملاح قاطبة ... فكلهم اصبحوا رعاياه
فى ريقه شهدة مذوبة ... وانعقد الدر فى ثناياه
مكمل بالجمال منفرد ... كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته ... اشهد ان لا مليح إلا هو

فلما تكاملت سنة اخرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان ، دعاه والده إليه وقال له : يا ولدى اما تسمع منى ؟

فوقع قمر الزمان على الأرض بين يدى ابيه هيبة ، واستحى منه وقال له : يا ابت كيف لا اسمع منك وقد امرنى الله بطاعتك وعـدم مخالفتك ؟

فقال له الملك شهرمان : اعلم يا ولدى انى اريد ان ازوجك وافرح بك فى حياتى ، واسلطنك فى مملكتى قبل مماتى .

فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام اطرق ساعة ، وبعد ذلك رفع راسه وقال : يا ابت هذا شيء لا افعله ابدا ولو سقيت كاس الردى . وانا اعلم أن الله فرض علىّ طاعتك ، فبحق الله عليك لا تكلفنى امر الزواج ، ولا تظن أنى اتزوج طول عمرى لأننى قـرات فى كتب المتقدمين والمتاخرين ، وعرفت جميع ما جرى لهم من المصائب والآفات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهى ، وما يحدث عنهن من الدواهى . وما أحسن قول الشاعر :

إن النسـاء خائنات	لكـل دان وقـاص
مخضـبات بنـان	مضـفرات عقاص
مكحـلات جفـون	مجرعات غصـاص

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام ، وفهم الشعر والنظام ، لم يرد عليه جوابا من فرط محبته له ، وزاده من إنعامه وإكرامه ، وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة . وبعد انفضاض المجلس طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له : ايها الوزير . .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائة) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال له : ايها الوزير قل لى ما الذى افعله فى قضية ولدى قمر الزمان ؟ فإننى استشرتك فى زواجه قبل أن اسلطنه فاشرت على بذلك ، واشرت على ايضا ان اذكر له أمر الزواج فذكرته له فخالفنى ، فاشر على الآن بما تراه حسنا .

فقال له الوزير : الذى اشير به عليك ان تصبر عليه سنة اخرى ، فإذا اردت ان تكلمه بعدها فى امر الزواج فلا تكلمه سرا ولكن حدثه فى يوم حكومة ، ويكون جميع الأمراء والوزراء حاضرين والعساكر واصحاب الصولة ، فإنه يستحى منهم وما يقدر أن يخالفك بحضرتهم .

فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا ، واستصوب راى الوزير فى ذلك وخلع عليه خلعة سنية .

وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة ، وكلما مضى عليه يوم من الأيام يزداد حسنا وجمالا ، وبهجة وكمالا ، حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين عاما ، والبسه الله حلل الجمال ، وتوجه بتاج الكمال ، وصار طرفه اسحر من هاروت وماروت ، وبياض غرته حكى القمر الزاهر ، وسواد شعره كانه الليل الماكر ، ومحاسنه حيرت الورى ، كما قال فيه بعض الشعراء :

قسما بوجنته وباسم ثغره ... وباسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه ومرهف لحظه ... وبياض غرته واسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن صبه ... وسطا عليه بنهيه وبأمره
وعقارب قد ارسلت من صدغه ... وسعت لقتل العاشقين بهجره

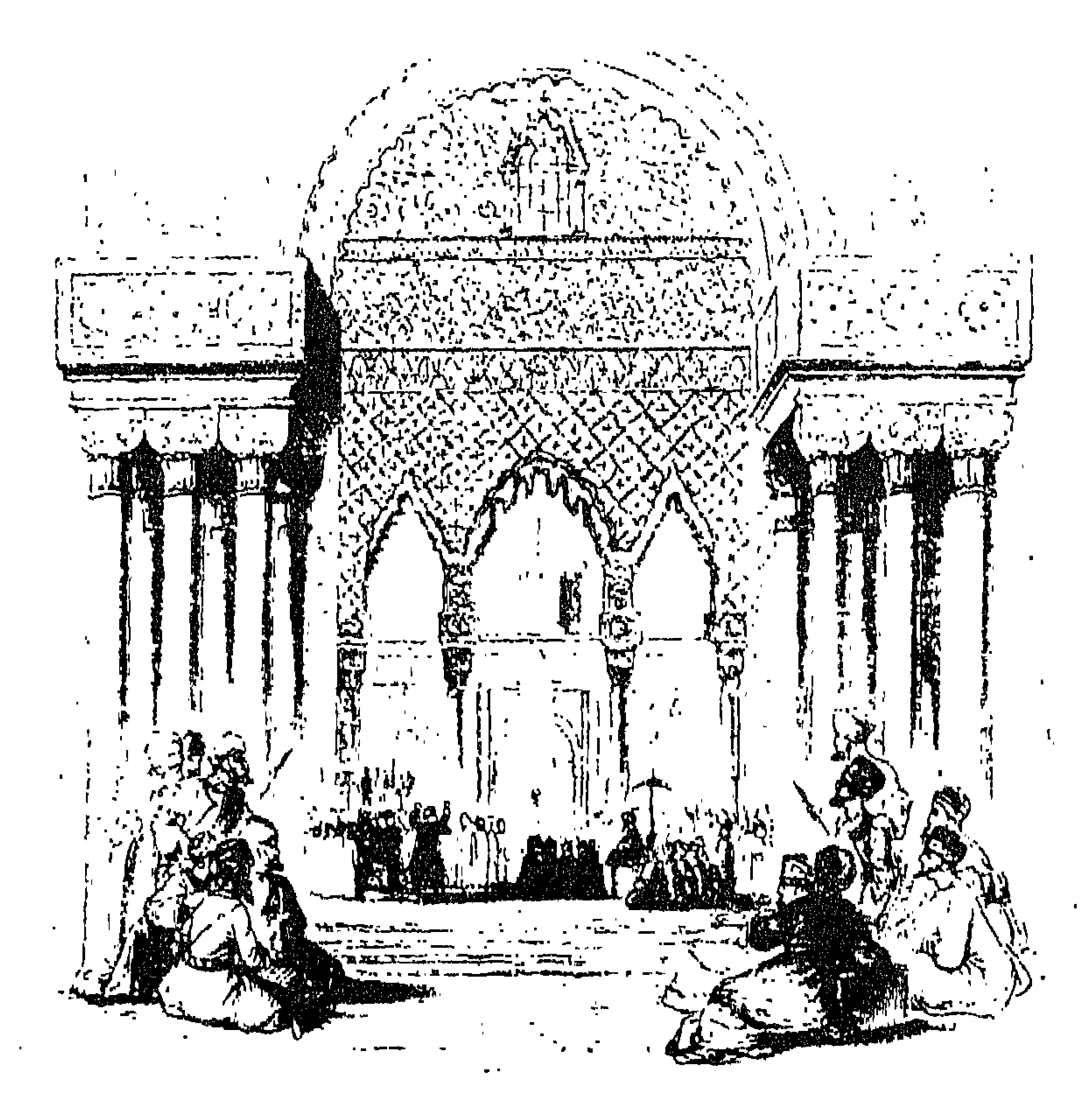
وبــورد خــديه وآس عــذاره　　وعقيق مبسمه ولــؤلؤ ثغــره
وبطيب نكهتــه وسلــسال جرى　　فى فيه يــسرى بالرحيق وعصره
وبجود راحته وصــدق لســانه　　وبطيب عنصره وعــالى قــدره
ما المسك إلا من فضــالة خاله　　والطيب يروى ريحه عن نشره
وكذلك الشــمس المنــيرة دونه　　وارى الهلال قلامة من ظفــره

ثم إن الملك شهرمان سمع كلام الوزير ، وصبر حتى حل يوم موسم .
وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٩٦

(فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد المائة) ، قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن الملك شهرمان صبر سنة اخرى حتى حل يوم موسم تكامل فيه مجلس الملك بالأمراء والوزراء والحجاب وارباب الدولة ، والعساكر وأصحاب الصولة . ثم إن الملك ارسل إلى ولده قمر الزمان ، فلما حضر قبل الأرض بين يديه ثلاث مرات ووقف عاقدا يديه وراء ظهره قدام أبيه ، فقال له أبوه : يا ولدى إنى ما احضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر الحاضرين بين أيدينا ، إلا لأجل ان آمرك بأمر فلا تخالفنى فيه .. وذلك ان تتزوج ، لأنى اشتهى ان ازوجك بنت ملك من الملوك وافرح بك قبل موتى .

فلما سمع قمر الزمان من ابيه هذا الكلام اطرق إلى الأرض ساعة ، ثم رفع راسه إلى ابيه ، ولحته فى تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة فقال له : اما أنا فلا اتزوج ابدا ولو سقيت كاس الردى ، وأما انت فرجل كبير السن صغير العقل . اليس قد سالتنى قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة فى شان الزواج وانا لا اجيبك إلى ذلك ؟



ثم إن قمر الزمان فك عقد يديه ، وشمر عن ذراعيه قدام أبيه وهو في غيظه . فخجل ابوه واستحى حيث حدث ذلك قدام ارباب دولته والعساكر الحاضرين في الموسم . ثم إن الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصاح على ولده فارعبه ، وصرخ بالمماليك وأمرهم بإمساكه فامسكوه ، وامرهم ان يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدي الملك وهو مطرق من الخوف والوجل ، وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل . فعند ذلك شتمه ابوه وسبه وقال له : يا ويلك يا تربية الخنا ، كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيشي ؟ ولكن انت إلى الآن ما ادبك احد .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

۱۹۷

(فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائة) ، قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان : اما تعلم أن هذا الأمر الذى صدر منك لو صدر من عامى من العوام لكان ذلك قبيحا منه .

ثم إن الملك امر المماليك ان يحلوا كتافه ويحبسوه فى برج من ابراج القلعة . فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التى فى البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سريرا لقمر الزمان ، وفرشوا له على السرير « طراحة » ونطعا (١) ، ووضعوا له مخدة ومصباحا كبيرا وشمعة ، لأن ذلك المكان كان مظلما فى النهار . ثم إن المماليك ادخلوا قمر الزمان فى تلك القاعة ، وجعلوا على باب القاعة خادما . فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد ، وقد عاتب نفسه وندم على ما جرى منه فى حق أبيه حيث لا ينفعه الندم وقال : خيب الله الزواج والبنات ، والنساء الخائنات ، فيا ليتنى سمعت من والدى وتزوجت ، فلو فعلت ذلك كان أحسن لى من هذا السجن .

هذا ما كان من أمر قمر الزمان .

وأما ما كان من أمر ابيه فإنه اقام على كرسى مملكته بقية اليوم إلى وقت الغروب ، ثم خلا بالوزير وقال له : اعلم ايها الوزير انك كنت السبب فى هذا الذى جرى بينى وبين ولدى كله حيث اشرت علىّ بما اشرت ، فما الذى تشير به على الآن ؟

---

(١) النطع : فراش من جلد .

فقال له الوزير : ايها الملك دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ، ثم احضره بين يديك وامره بالزواج فإنه لا يخالفك ابدا .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٩٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائة) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك قبل راى الوزير فى ذلك اليوم ، ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لأنه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه .. وكان الملك شهرمان كل ليلة لا يجيئه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام . فبات تلك الليلة وهو مشوش الخاطر من اجله ، وصار يتقلب من جنب إلى جنب كانه نائم على جمر اللظى ، ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم فى تلك الليلة بطولها ، وذرفت عيناه الدموع وانشد قول الشاعر :

لقد طال ليلى والوشاة هجوع ... وناهيك قلب بالفراق مروع
اقول ليلى زاد بالهم طوله ... امالك يا ضوء الصباح رجوع

وقول الآخر :

لما رايت النجم ساه طرفه ... والقطب قد القى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا ... ايقنت ان صباحه قد ماتا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان .

واما ما كان من امر قمر الزمان ، فإنه لما قدم عليه الليل قدم له الخادم المصباح واوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان ، وقدم له شيئا من المأكل فأكل قليلا ، وصار يعاتب نفسه حيث اساء الأدب فى حق ابيه الملك شهرمان وقال فى نفسه : الم تعلم ان ابن آدم رهين لسانه ، وأن لسان الآدمى هو الذى يوقعه فى المهالك ؟

ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الدموع ، واحترق قلبه المصدوع ، وندم على ما خرج من لسانه فى حق الملك غاية الندم ، وانشد هذين البيتين :

يموت الفتى من عـثرة من لسانه وليس يموت المرء من عثرة الرّجل
فعـثرته من فيه تقضى بحتفـه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

ثم إن قمر الزمان لما فرغ من الأكل طلب ان يغسل يديه من الطعام ، وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

١٩٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائة) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان جلس على السرير يقرا القرآن ، فقرا البقرة وآل عمران ، ويس والرحمن ، وتبارك الملك والمعوذتين ، وختم بالدعاء ، واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الأطلس المعدنى لها وجهان ، وهى محشوة بريش النعام . وحين اراد النوم تجرد من ثيابه ونام فى قميص رفيع ، وكان على راسه مقنع مروزى أزرق ، فصار قمر الزمان فى تلك الليلة كأنه البدر فى ليلة اربعة عشر ، ثم تغطى بملاءة من حرير ، ونام والمصباح موقد عند رجليه والشمعة موقدة عند راسه ، ولم يزل نائما إلى ثلث الليل ، ولم يعلم ما خبّىء له فى الغيب وما قدره عليه علام الغيوب .

واتفق ان القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة ، وكان فى تلك القاعة بئر رومانية معمورة بجنية ساكنة فيها ، واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الموفية للمائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن اسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين . فلما استمر قمر الزمان نائما إلى ثلث الليل الأول طلعت تلك العفريتة من البئر الرومانية ، وقصدت السماء لاستراق السمع . فلما صارت فى اعلى البئر رات نورا مضيئا فى البرج على خلاف العادة ، وكانت تلك العفريتة مقيمة فى ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت فى نفسها : أنا ما عهدت هنا شيئا من ذلك .



فتعجبت من هذا الأمر غاية العجب ، وخطر ببالها انه لابد لذلك من سبب . ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلتها ، ووجدت الخادم نائما على بابها . ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة إنسان نائم ، وشمعة مضيئة عند راسه ومصباح مضىء عند رجليه . فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور ، وتقدمت إليه قليلا قليلا وارخت اجنحتها ووقفت على السرير ، وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت إليه ، واستمرت باهتة فى حسنه وجماله ساعة زمانية ، وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة ، وصار وجهه يتلألأ نورا فهو كما قال فيه الشاعر :

يا قلب إن زعم العواذل انه فى الحسن يوجد مثله قل هاتوا

فلما راته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت : تبارك الله احسن الخالقين .

وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين ، فاستمرت ساعه وهى تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله ، وقالت فى نفسها : والله إنى لا اضره ولا اترك احدا يؤذيه . ومن كل سوء افديه ، فإن هذا الوجه المليح ، لا يستحق إلا النظر إليه والتسبيح . ولكن كيف هان على اهله حتى نسوه فى هذا المكان الخرب ! فلو طلع له احد من مردتنا فى هذه الساعة لأعطبه .

ثم إن تلك العفريتة مالت عليه وقبلتـه بين عينيه ، وبعـد ذلك أرخت الملاءة على وجهه وغطته بها ، وفتحت اجنحتهـا وطارت ناحية السماء ، وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ، ولم تزل صاعدة فى الجو إلى أن قربت من السماء الدنيا ، وإذا بها سمعت خفق اجنحة طائرة فى الهواء فقصدت ناحية تلك الأجنحة ، فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتا يقال له دهنش ، فانقضت عليه انقضاض الباشق . فلما أحس بهـا دهنش وعرف أنها ميمونة بنت ملك الجن خاف منا وارتعدت فرائصه ،



واستجار بها وقال لها : اقسم عليك بالاسم الأعظم ، والطلسم الاكرم ، المنقوش على خاتم سليمان ، أن ترفقى بى ولا تؤذينى .

فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام ، رق قلبها له وقالت له : إنك اقسمت علىّ بقسم عظيم ، ولكن لا اعتقك حتى تخبرنى من أين مجيئك فى هذه الساعة .

فقال لها : أيتها السيدة اعلمى ان مجيئى من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر .. واخبرك باعجوبة رأيتها فى هذه الليلة ، فإن وجدته

كلامى صحيحا فاتركينى اروح إلى حال سبيلى ، واكتبى لى بخطك فى هذه الساعة انى عتيقك حتى لا يعارضنى احد من ارهاط الجن الطيارة . . العلوية والسفلية والغواصة .

قالت له ميمونة : فما الذى رايته فى هذه الليلة يا دهنش ؟ فاخبرنى ولا تكذب على وتريد بكذبك ان تنفسلت من يدى . وانا اقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ، إن لم يكن كلامك صحيحا نتفت ريشك بيدى ، ومزقت جلدك وكسرت عظمك .

فقال لها العفريت دهنش بن شمهورش الطيار : إن لم يكن كلامى صحيحا فافعلى بى ما شئت يا سيدتى .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٠١

(**فلما كانت الليلة الأولى بعد المائتين**) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان دهنشا قال : إنى خرجت فى هذه الليلة من الجزائر الداخلة فى بلاد الصين ، وهى بلاد الملك الغيور ، صاحب الجزائر والبحور ، والسبعة القصور ، فرايت لذلك الملك بنتا لم يخلق الله فى زمانها احسن منها ، ولا اعرف كيف اصفها لك ، ويعجز لسانى عن وصفها كما ينبغى . ولكن اذكر لك شيئا من صفاتها على التقريب .. اما شعرها فكليالى الهجر والانفصال ، واما وجهها فكأيام الوصال ، وقد احسن فى وصفها من قال :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها فى ليلة فارت ليالى اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فارتنى القمرين فى وقت معا

ولها انف كحد السيف المصقول ، ولها وجنتان كرحيق الأرجوان ، ولها خد كشقائق النعمان ، وشفتاها كالمرجان والعقيق ، وريقها اشهى

من الرحيق ، يطفىء مذاقه عذاب الحريق ، ولسانها يحركه عقل وافر ، وجواب حاضر ، ولها صدر فتنة لمن يراه ، فسبحان من خلقه وسواه ، ومتصل بذلك الصدر عضدان مدملجان ، كما قال فيهما الشاعر الولهان :

وزندان لولا أمسكا بأساور لسالا من الاكمام سيل الجداول

ولها نهدان كأنهما من العاج حقان ، يستمد من اشراقهما القمران ، ولها بطن بأعكان مطوية ، كطي التباطي المصرية ، وينتهي ذلك إلى خصر مختصر من وهم الخيال ، فوق ردف ككثيب من رمال ، يقعدها إذا قامت ، ويوقظها إذا نامت ، كما قال فيه بعض واصفيه :

لها كفل تعلق في ضعيف وذاك الردف لي ولها ظلوم
فيوقفني إذا فكرت فيه ويقعدها إذا هبت تقوم

يحمل ذلك الكفل فخذان ، كأنهما من الدر عمودان ، وفيها غير ذلك من الأوصاف ، ما لا يحصيه ناعت ولا وصاف ، ويحمل ذلك كله قدمان لطيفتان ، صنعة المهيمن الديان ، فعجبت منهما كيف يحملان ما فوقهما .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٠٢

(فلما كانت الليلة الثانية بعد المائتين) قالت : بلغني ايها الملك السعيد أن العفريت دهنش بن شمهورش قال بعد وصفها .. وابو تلك الصبية ملك جبار ، فارس كرار ، يخوض بحار الأقطار ، في الليل والنهار ، لا يهاب الموت ، ولا يخاف الفوت ، لأنه جائر ظلوم ، وقاهر غشوم . وهو صاحب جيوش وعساكر ، وأقاليم وجزائر ، ومدن ودور ،

واسمه الملك الغيور ، صاحب الجزائر والبحور ، والسبعة القصور . وكان يحب ابنته هذه التى وصفتها لك حبا شديدا ، ومن محبته لها جلب اموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور ، كل قصر من جنس مخصوص .. القصر الأول من البلور ، والقصر الثانى من الرخام ، والقصر الثالث من الحديد الصينى ، والقصر الرابع من الجزع والفصوص ، والقصر الخامس من الفضة ، والقصر السادس من الذهب ، والقصر السابع من الجوهر . وملأ القصور السبعة بأنواع الفراش الفاخر ، واوانى الذهب والفضة ، وجميع الآلات من كل ما تحتاج إليه الملوك . وأمر ابنته ان تسكن فى كل قصر مدة من السنة ، ثم تنتقل منه إلى قصر غيره ، واسمها الملكة بدور .

فلما اشتهر حسنها وشاع فى البلاد ذكرها ، ارسل سائر الملوك إلى أبيها يخطبونها منه ، فراودها فى أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لأبيها : يا والدى ليس لى غرض فى الزواج ابدا ، فإنى سيدة وملكة احكم على الناس ، ولا اريد رجلا يحكم على .

وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها . ثم إن جميع ملوك جزائر الصين الجوانية ارسلوا إلى أبيها الهدايا والتحف وكاتبوه فى أمر زواجها . فكرر عليها ابوها المشاورة فى أمر الزواج مرارا عديدة ، فخالفته وغضبت منه وقالت له : يا ابى إن ذكرت لى الزواج مرة أخرى أخذت السيف ووضعت قائمة فى الأرض وذبابة فى بطنى ، واتكأت عليه حتى يطلع من ظهرى ، وقتلت نفسى .

فلما سمع أبوها منها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما ، واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق ، وخشى أن تقتل نفسها . وتحير فى أمرها وفى أمر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها : إن كان ولابد من عدم زواجك فامتنعى من الدخول والخروج .



ثم إن اباها ادخلها البيت وحجبها فيه واستحفظ عليها عشر عجائز قهرمانات ، ومنعها من ان تذهب إلى القصور السبعة .. واظهر انه غضبان عليها ، وارسل يكاتب الملوك جميعهم واعلمهم انها اصيبت بجنون في عقلها ، ولها الآن سنة وهى محجوبة .

ثم قال العفريت دهنش للعفريتة : وانا يا سيدتى اتوجه إليها فى كل ليلة فانظرها واتملى بوجهها ، واقبلها وهى نائمة بين عينيها . ومن محبتي لها لا اضرها لأن جمالها بارع ؛ وكل من رآها يغار عليها من نفسه . واقسمت عليك يا سيدتى ان ترجعى معى وتنظرى حسنها وجمالها ، وقدها واعتدالها ، وبعد هذا إن اردت أن تعاقبيني او تاسريني فافعلى ، فإن الامر امرك والنهى نهيك .

ثم إن العفريت دهنشا اطرق إلى الأرض وخفض اجنحته ، فقالت له العفريتة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامه وبصقت فى وجهه : اى شيء هذه البنت التى تذكرها ؟ فكيف لو رايت معشوقى ؟ والله

إنى حسبت ان معك أمرا عجيبا ، أو خبرا غريبا . يا ملعون إنى رأيت إنسانا فى هذه الليلة لو رايته ولو فى المنام لفلجت عليه .

فقال لها دهنش : وما حكاية هذا الغلام ؟

فقالت له : اعلم يا دهنش ان هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمشوقتك التى ذكرتها ، وامره ابوه بالزواج مرارا عديدة فابى . فلما خالف اباه غضب عليه وسجنه فى البرج الذى انا ساكنة فيه ، فطلعت فى هذه الليلة فرايته .

فقال له دهنش : يا سيدتى ارينى هذا الغلام لانظر هل هو احسن من معشوقتى الملكة بدور اولا ، لانى ما اظن انه يوجد فى هذا الزمان مثل معشوقتى .

فقالت له العفريتة : تكذب يا ملعون ، يا انحس المردة واحقر الشياطين ! فأنا متحققة انه لا يوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٠٣

(**فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائتين**) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن العفريتة ميمونة قالت : إنه لا يوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار ، فهل أنت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقى ؟

فقال لها : اقسمت بالله عليك يا سيدتى ان تذهبى معى وتنظرى معشوقتى ، وارجع معك وانظر معشوقك .

فقالت له ميمونة : لابد من ذلك يا ملعون لانك شيطان مكار . ولكنى لا اجىء معك ولا تجىء معى إلا برهن ، فإن تبين أن معشوقتك التى تحبها وتتغالى فيها أحسن من معشوقى الذى احبه واتغالى فيه ،

فإن ذلك الرهان يكون لك . وإن تبين أن معشوقى أحسن فان الرهان يكون لى عليك .

فقال لها العفريت دهنش : يا سيدتى قبلت منك هذا الشرط ورضيت به ، وتعالى معى إلى الجزائر .

فقالت له ميمونة : إن موضع معشوقى أقرب من موضع معشوقتك وها هو ذا تحتنا ، فانزل معى لننظر معشوقى ونروح بعد ذلك إلى معشوقتك .

فقال لها دهنش : سمعا وطاعة .

ثم انحدرا إلى أسفل ونزلا فى دور القاعة التى فى البرج ، وأوقفت دهنشا بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان ، فسطع وجهه وأشرق ولمع وزها ، فنظرته ميمونة والتفتت من وقتها إلى دهنش وقالت له : انظر يا ملعون ، ولا تكن أقبح مجنون . فنحن بنات ، وبه مفتونات .

فعند ذلك التفت إليه دهنش ، واستمر يتأمل فيه ساعة ثم حرك راسه وقال لميمونة : والله يا سيدتى إنك معذورة ، ولكن بقى شىء آخر وهو أن حال الأنثى غير حال الذكر . وحق الله إن معشوقك هذا أشبه الناس بمعشوقتى فى الحسن والجمال ، والبهجة والكمال ، وهما الاثنان كأنهما قد أفرغا فى قالب الحسن سواء .

فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلاما ، ولطمته بجناحها على راسه لطمة قوية كادت تقضى عليه من شدتها ، وقالت له : قسما بنور وجهه وجلاله ، أن تروح يا ملعون فى هذه الساعة وتحمل معشوقتك التى تحبها وتجىء بها سريعا إلى هذا المكان ، حتى نجمع بين الاثنين وننظرهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما بعضا ، فيظهر لنا أيهما أملح . وإن لم تفعل ما أمرتك به فى هذه الساعة يا ملعون أحرقتك بنارى ، ورميتك بشرار أسرارى ، ومزقتك قطعا فى البرارى ، وجعلتك عبرة للمقيم والسارى .

فقال لها دهنش : ياسيدتى لك على ذلك ، أنا اعرف ان محبوبتى أملح واحلى .

ثم إن العفريت دهنشا طار من وقته وساعته ؛ وطارت ميمونة معه من اجل المحافظة عليه . فغابا ساعة زمانية ؛ ثم اقبل الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية ؛ وعليها قميص بندقى رفيع بطرازين من الذهب ، وهو مزركش ببدائع التطريزات ، ومكتوب على راس كميه هذه الأبيات :

ثــلاثة منعتهــا عــن زيارتنــا	خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما	حوت معــاطفها من عنــبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تســتره	والحلى تنزعه ؛ ما حيلة العرق

ثم إنهما نزلا بتلك الصبية ومداها بجانب الغلام .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .



(فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان العفريت والعفريتة كشفا عن وجوه الاثنين ، فكانا اشبه الناس ببعضهما بعضا فكأنهما توأمان ، او اخوان منفردان ، وهما فتنة للمتيمين ، كما قال فيهما الشاعر المبين :

يا قلب لا تعشق مليحا واحدا ⁂ تختار فيه تدللا وتذللا

واهو الملاح جميعهم تلقاهم ⁂ إن صد هذا كان هذا مقبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران إليهما ، فقال دهنش : إن معشوقتى احسن .

قالت له ميمونة : بل معشوقى احسن . ويلك يا دهنش هل انت اعمى ؟ اما تنظر إلى حسنه وجماله ، وقده واعتداله ؟ فاسمع ما اقوله فى محبوبى .

ثم إن ميمونة قبلت قمر الزمان قبلا عديدة ، وانشدت هذه القصيدة :

مالى ولـلاحى عليك يعنف ⁂ كيف السلو وانت غصن اهيف

لك مقلة كحلاء تنفث سحرها ⁂ ما للهوى العذرى عنها مصرف

تركية الألحاظ تفعل بالحشا ⁂ ما ليس يفعله الصقيل المرهف

حملتنى ثقل الغرام وإننى ⁂ بالعجز عن حمل القميص لاضعف

وجدى عليك كما علمت ولوعتى ⁂ طبع وعشقى فى سواك تكلف

لو أن قلبى مثل قلبك لم ابت ⁂ والجسم منى مثل خصرك منحف

ويلاه من قمر بكل ملاحة ⁂ بين الأنام وكل حسن يوصف

قال العواذل فى الهوى من ذا الذى ⁂ انت الكئيب به فقلت لهم صفوا

يا قلبه القاسى تعلم عطفة ⁂ من قده عسى ترق وتعطف

لك يا أميرى فى الملاحة ناظر ⁂ يسطو على وحاجب لا ينصف

كـذب الذى ظن الملاحة كلهـا فى يوسف كم فى جمالك يوسف
يجسن تخشـانى إذا قابلتهـا وانا إذا القـاك قلبى يرجـف
اتـكلف الإعـراض عنك مهابة وإليـك اصبو جهـد ما اتكلف
والشـعر اسود والجبين مشعشع والطرف احور والقـوام مهفهف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة فى معشوقها طرب غاية الطرب ، وتعجب كل العجب .

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٣٠٥

(فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان دهنشا لما سمع شعر ميمونة فى معشوقها قال : إنك انشدتنى فيمن تعشقيه هذا الشعر الرقيق ، مع ان بالك مشغول به ، ولكن انا ابذل الجهد فى إنشاد الشعر على قدر فكرتى .

ثم إن دهنشا قام إلى معشوقته بدور وقبلها بين عينيها ، ونظر إلى العفريتة ميمونة وإلى معشوقته بدور ، وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور :

اتوت معـاهدهم بشط الوادى فبقيت مقتـولا بوسـط الوادى
وسكرت من خمر الغرام ورقصت عينى الدموع على غناء الحادى
اسعى لأسعد بالوصال وحق لى إن السـعادة فى بدور سـعاد
لم ادر من اى الثلاثة اشـتكى ولقد عددت ناصـغ للاعـداد
من لحظها السياف، ام من قدها ال رماح ، أم من صـدغها الزراد
قالت وقد فتشت عنها كـل من لاقيتـه من حـاضر او بـادى
انا فى فؤادك فارم طـرفك نحوه ترنى ، فقلت لها واين فـؤادى

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة : أحسنت يا دهنش ، ولكن اى هذين الاثنين أحسن ؟

فقال لها : محبوبتي بدور احسن من محبوبك .

فقالت له : كذبت يا ملعون بل معشوقى أحسن من معشوقتك .

ثم إنهما لم يزالا يعارضان بعضهما بعضا فى الكلام ، حتى صرخت ميمونة على دهنش وارادت ان تبطش به ، فذل لها ورقق كلامه وقال لها : لا تغضبى من الحق ، فابطلى قولك وقولى فإن كلا منا يشهد المعشوقه انه أحسن ، ونعرض عن كلام كل واحد منا ، ونطلب من يفصل بيننا بالإنصاف ونعتمد على قوله .

فقالت له ميمونة : وهو كذلك .

ثم ضربت الأرض برجلها فطلع لها من الأرض عفريت أعور اجرب ، وعيناه مشقوقتان فى وجهه بالطول ، وفى راسه سبعة قرون ، وله اربع ذوائب من الشعر مسترسلة إلى الأرض ، ويداه مثل يدى القطرب ، لاه اظفار كاظفار الأسد ، ورجلان كرجلى الفيل ، وحوافر كحوافر الحمار . فلما طلع العفريت ورأى ميمونة ، قبل الأرض بين يديها ، وعقد ذراعيه وقال لها : ما حاجتك يا سيدتى يا بنت الملك ؟

فقالت له : يا قشقش ، إنى أريد ان تحكم بينى وبين هذا الملعون دهنش .

ثم إنها اخبرته بالقصة من اولها إلى آخرها ، فعندها نظر العفريت قشقش إلى وجه الصبى ووجه تلك الصبية ، فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخر ، وهما فى الحسن والجمال متشابهان ، وفى الملاحة متساويان . فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما ، والتفت إلى ميمونة ودهنش بعد ان اطال إلى الصبى والصبية الالتفات ، وانشد هذه الابيات :

زر من تحب ودع مقالة حاسد ليس الحسود على الهوى بمساعد

لم يخلق الرحمن احسن منظرا من عاشقين على فراش واحد

متعانقين عليهما حلل الرضا متوسدين بمعصم وبساعد

وإذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وعش بذاك الواحد

وإذا تألفت القلوب على الهوى فالناس تضرب فى حديد بارد

يا من يلوم على الهوى أهل الهوى هل يستطاع صلاح قلب فاسد

يا رب يا رحمن تحسن ختمنا قبل الممات ولو بيوم واحد

ثم إن العفريت تشقش ، التفت إلى ميمونة وإلى دهنش ، وقال لهما : والله ما فيهما احد احسن من الآخر ولا دون الآخر ، بل هما اشبه الناس ببعضهما بعضا فى الحسن والجمال ، والبهجة والكمال ، ولا يفرق بينهما إلا بالتذكير والتأنيث . وعندى حكم آخر وهو ان ننبه كل واحد منهما من غير علم الآخر ، وكل من التهب على رفيقه فهو دونه فى الحسن والجمال .

فقالت ميمونة : نعم هذا الراى الذى قلته فانا رضيته .

وقال دهنش : وانا ايضا رضيته .

فعند ذلك انقلب دهنش فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(**فلما كانت الليلة السادسة بعد المائتين**) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان دهنشا انقلب فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان فى رقبته فى موضع ناعم ، فمد قمر الزمان يده إلى رقبته وهرش موضع القرصة من شدة ما احرقته ، فتحرك بجنبه فوجد شيئا نائما بجنبه ونفسه أذكى من المسك وجسمه ألين من الزبد . فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ، ثم قام من وقته قاعدا ونظر إلى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجده صبية كالدرة السنية ، بقامة الفية ، خماسية القد ، بارزة النهد ، موردة الخد ، كما قال فيها بعض واصفيها :

بدت قمرا ومالت غصن بان ونـاحت عنبرا ورنت غـزالا
كأن الحزن مشغوف بقلبى فساعة هجرها يجد الوصالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور ، وشاهد حسنها وجمالها وهى نائمة فى طوله ، وجد فوق بدنها قميصا بندقيا وعليهما كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر ، وفى عنقها قلادة من الفصوص المثمنة لا يقدر عليها احد من الملوك ، فصار مدهوش العقل من ذلك . ثم إنه حين شاهد حسنها حن إليها وقال فى نفسه : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » . ثم قلبها بيده ثانى مرة ونظر إليها فازداد فيها محبة ، فصار ينبهها وهى لا تنتبه لأن دهنشا ثقل نومها . فصار قمر الزمان يهزها ويحركها ويقول : يا حبيبتى استيقظى وانظرى من انا ، فانا قمر الزمان .

فلم تستيقظ ولم تحرك راسها . فعند ذلك تفكر فى أمرها ساعة زمانية وقال فى نفسه : إن صدق حذرى فهذه الصبية هى التى يريد والدى زواجى بها ومضى لى ثلاث سنين وانا أمتنع من ذلك ، فإن شاء الله إذا جاء الصباح اقول لأبى : زوجنى بها .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .



٢٠٧

(فلما كانت الليلة السابعة بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال فى نفسه : إن شاء الله إذا جاء الصبح اقول لأبى : « زوجنى بها » ، ولا اترك نصف النهار يفوت حتى أفوز بها واتملى بحسنها وجمالها .

ثم إن قمر الزمان مال إلي بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنيـــة وخجلت ، وأما العفريت دهنش فإنه طار من الفرح .

ثم إن قمر الزمان لما أراد أن يقبلها فى فمها استحى من الله ولفت وجهه ، وقال فى نفسه : أنا أصبر لئلا يكون والدى لما غضب علىّ وحبسنى فى هذا الموضع ، جاء لى بهذ العروسة وأمرها بالنوم بجانبى ليمتحننى بها وأوصاها أنى إذا نبهتها لا تستيقظ ، وقال لها : « أى شيء فعل بك قمر الزمان فاعلمينى به » ، وربما يكون والدى مستخفيا فى مكان بحيث يطلع على وأنا لا أنظره ، فينظر جميع ما أفعله بهذه الصبية ، وإذا أصبح يوبخنى ويقول لى : « كيف تقول مالى أرب فى الزواج وأنت قبلت تلك الصبية وعانقتها ؟ » فأنا أكف نفسى عنها لئلا ينكشف أمرى مع والدى ، فأنا لا ألمس هذه الصبية من تلك الساعة ولا التفت إليها ، غير أنى آخذ لى منها شيئا يكون أمارة عندى وتذكرة لها ، حتى يبقى بينى وبينها إشارة .

ثم إن قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوى جملة من المال ، لأن فصه من نفيس الجواهر ومنقوش فى دائرته هذه الأبيات :

لا تحسبوا أنى نسيت عهودكم	مهما أطلتم فى الزمان صدودكم
يا سادتى جودوا علىّ تعطفا	فعسى أقبّل ثغركم وخدودكم
والله إنى لست أبرح عنكم	ولو اعتديتم فى الغرام حدودكم

ثم إن قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه فى خنصره ، وأدار ظهره إليها ونام .. ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش : هل رأيتما محبوبى قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية ؟ فهذا من كمال محاسنه ، فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يمسسها ، بل أدار ظهره إليها ونام .

فقالا لها : قد رأينا ما صنع من الكمال .

فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ، ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش . ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت

تحت سرتها مقدار اربعة قراريط ولدغتها .. ففتحت عينيها واستوت قاعدة ، فرات شابا نائما بجانبها وهو يغط فى نومه ، وله خدود كشقائق النعمان ولواحظ تخجل الحور الحسان وفم كأنه خاتم سليمان .

ثم إن الملكة بدور لما رات قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٠٨

(**فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائتين**) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رات قمر الزمان ، اخذها الهيام والوجد والغرام وقالت فى نفسها : وافضيحتاه ! إن هذا شاب غريب لا اعرفه ، ما باله راقدا بجانبى فى فراش واحد ؟

ثم نظرت إليه بعيونها ، وحققت النظر فيه وفى ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ، ثم قالت : وحق الله إنه شاب مليح مثل القمر ، الا إن كبدى تكاد تتمزق وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله ، فيا فضيحتى منه ! والله لو علمت ان هذا الشاب هو الذى خطبنى من ابى ما رددته ، بل كنت اتزوجه واتملى بجماله .

ثم إن الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها فى وجه قمر الزمان وقالت له : يا سيدى وحبيب قلبى ونور عينى ، انتبه من منامك وتمتع بحسنى وجمالى .

ثم حركته بيدها ، فارخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على راسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان ، فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له : بحياتى عليك اطلعنى وانتبه من منامك وانظر وجنتى وثغرى ، وشاهد فتنتى وسحرى ، قم يا سيدى ولا تنم .

فلم يجبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطابا ، بل غط فى النوم .

فقالت الملكة بدور : ما لك تائها بحسنك وجمالك ، وظرفك ودلالك ؟ فكما انت مليح انا الأخرى مليحة ، فما هذا الذي تفعله ؟ هل هم علموك الصد عنى ، او ابى منعك من أن تكلمنى فى هذه الليلة .

فما فتح قمر الزمان عينيه . . فازدادت فيه محبة ، والقى الله محبته فى قلبها ، ونظرته نظرة اعقبتها الف حسرة ، وخفق فؤادها وتقلقلت احشاؤها واضطربت جوارحها وقالت لقمر الزمان : يا سيدى كلمنى ، يا حبيبى حدثنى ، يا معشوقى رد علىّ الجواب وقل لى ما اسمك ، فإنك سلبت عقلى .

كل ذلك وقمر الزمان مستغرق فى النوم ولم يرد عليها بكلمة . فتاوهت الملكة بدور وقالت : ما لك معجبا بنفسك ؟

ثم هزته وقبلت يده ، فرات خاتمها فى اصبعه الخنصر فشهقت شهقة وقالت : اوه ! والله انت حبيبى وتحبنى ، ولكن كأنك تعرض عنى دلالا مع انك جئتنى وانا نائمة ، ولكن ما أنا نازعة خاتمى من خنصرك .

ثم مالت عليه وقبلت رقبته ، وفتشت على شىء تأخذه منه فلم تجد معه شيئا ، ونزعت خاتمه من اصبعه ووضعته فى أصبعها عوضا عن خاتمها ، وقبلته فى ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعا إلا قبلته ، وبعد ذلك عانقته ونامت بجانبه .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٠٩

(فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن الملكة بدر نامت بجانب قمر الزمان ، فلما رأت ذلك ميمونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش : هل رأيت يا ملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقى ؟ وكيف فعل معشوقى من التيه والدلال ؟



فلا شك أن معشوقتي أحسن من معشوقتك ، ولكن عفوت عنك .

ثم كتبت له ورقة بالعتق ، والتفتت إلى قشقش وقالت له : ادخل معه ، واحمل معشوقته وساعده على وصولها إلى مكانها ، لأن الليل مضى وفاتني مطلوبي .

فتقدم دهنش وقشقش إلى الملكة بدور ودخلا تحتها ، وحملاها وطارا بها واوصلاها إلى مكانها ، واعاداها إلى فراشها . واختلت ميمونة

بالنظر إلى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل إلا القليل ، ثم توجهت إلى حال سبيلها .

فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه ، والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده ، فقال فى نفسه : « ما هذا الأمر ؟ كأن ابى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت عندى ، ثم اخذها سرا لأجل ان تزداد رغبتى فى الزواج » ، ثم صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له : ويلك يا ملعون ! قم !

فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ، ثم قدم له الطشت والإبريق . فقام قمر الزمان وتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله ، ثم نظر إلى الخادم فوجده واقفا فى خدمته بين يديه فقال له : ويلك يا صواب ، من جاء هنا واخذ الصبية من جنبى وانا نائم ؟

فقال الخادم : يا سيدى اى شىء الصبية ؟

فقال قمر الزمان : الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة .

فانزعج الخادم من كلام قمر الزمان وقال له : لم يكن عندك صبية ولا غيرها ؛ ومن اين دخلت الصبية وانا نائم وراء الباب وهو مقفل ؟ والله يا سيدى ما دخل عليك ذكر ولا أنثى .

فقال له قمر الزمان : تكذب يا عبد النحس . وهل وصل من قدرك انت الآخر انك تخادعنى ولا تخبرنى ؟ اين راحت هذه الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة ؟ ولم لا تخبرنى بالذى أخذها من عندى ؟

فقال الطواشى وقد انزعج منه : والله يا سيدى ما رايت صبية ولا صبيا .

فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له : إنهم علموك الخداع يا ملعون ، فتعال عندى .

فتقدم الخادم إلى قمر الزمان ، فأخذ بأطواقه وضرب به الأرض ، ثم برك عليه قمر الزمان ورفسه برجله وخنقه حتى غشى عليه ، ثم بعد ذلك ربطه فى سلبة البئر وادلاه فيها إلى ان وصل إلى الماء

وارخاه ، وكانت تلك الأيام ايام برد وشتاء قاطع ، فغطس الخادم فى الماء ثم نشله قمر الزمان وارخاه ، ولا زال يغطس ذلك الخادم فى الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح ، وقمر الزمان يقول له :



والله يا ملعون ما اطلعك من هذه البئر حتى تخبرنى بخبر هذه الصبية وقضيتها ، ومن الذى اخذها وانا نائم ؟

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢١٠

(**فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائتين**) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الخادم قال لقمر الزمان : انقذنى من البئر يا سيدى وانا اخبرك بالصحيح .

فجذبه من البئر واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من الغرق والغطس ، والبرد والضرب والعذاب ، وصار يرتعد مثل

القصبة فى الريح العاصف ، واصطكت أسنانه بعضها ببعض ، وابتلت ثيابه بالماء . فلما رأى الخادم نفسه على وجه الماء قال له : دعنى يا سيدى أروح واخلع ثيابى واعصرها وأنشرها فى الشمس والبس غيرها ، ثم احضر إليك سريعا وأخبرك بأمر تلك الصبية واحكى لك حكايتها .

فقال له قمر الزمان : والله يا عبد النحس لولا أنك عاينت الموت ما أقررت بالحق ، فاخرج لقضاء أغراضك وعد إلى بسرعة ، واحك لى حكاية الصبية وقصتها .

فعند ذلك خرج الخادم وهو لا يصدق بالنجاة ؛ ولم يزل يجرى إلى أن دخل على الملك شهرمان أبى قمر الزمان ؛ فوجد الوزير بجانبه وهما يتحدثان فى أمر قمر الزمان ، فسمع الملك يقول للوزير : إنى ما نمت فى هذه الليلة من اشتغال قلبى بولدى قمر الزمان ، وأخشى أن يجرى له شىء من هذا البرج العتيق ، وما كان فى سجنه شىء من المصلحة .

فقال له الوزير : لا تخف عليه ، والله لا يصيبه شىء . ودعه مسجونا شهرا حتى تلين عريكته .

فبينما هما فى الكلام إذا بالخادم دخل عليهما وهو فى تلك الحال . وقال له : يا مولاى السلطان إن ولدك أصابه جنون ؛ وقد فعل بى هذه الفعال وقال لى : « إن صبية باتت عندى فى هذه الليلة وذهبت بخفية ؛ فأخبرنى بخبرها » . وأنا لا أعرف ما شأن هذه الصبية .

فلما سمع السلطان شهرمان هذا الكلام عن ولده قمر الزمان ، صرخ قائلا : واولداه !

وغضب على الوزير الذى كان سببا فى هذه الأمور غضبا شديدا ، وقال له : قم اكشف لى خبر ولدى قمر الزمان .

فخرج الوزير وهو يتعثر فى أذياله من خوفه من الملك ؛ وراح مع الخادم إلى البرج وكانت الشمس قد طلعت ، فدخل الوزير على قمر الزمان فوجده جالسا على السرير يقرأ القرآن ، فسلم عليه الوزير وجلس

إلى جانبه وقال له : يا سيدى إن هذا العبد النحس اخبرنا بخبر شوشنا وازعجنا ، فاغتاظ الملك من ذلك .

فقال له قمر الزمان : ايها الوزير وما الذى قال لكم عنى حتى شوش ابى ؟ وفى الحقيقة هو ما شوش إلا إياى .

فقال له الوزير : إنه جاءنا بحالة منكرة وقال لنا قولا حاشاك منه ، وكذب علينا بما لا ينبغى أن يذكر فى شانك ، فسلامة شبابك وعقلك الرجيح ، ولسانك الفصيح ، وحاشى ان يصدر منك شىء قبيح .

فقال له قمر الزمان : فأى شىء قال هذا العبد النحس ؟

فقال له الوزير : إنه اخبرنا انك جننت وقلت له : « كان عندى صبية فى الليلة الماضية » . فهل قلت للخادم هذا الكلام ؟

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال للوزير : تبين لى انكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢١١

(فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان قال للوزير : تبين لى انكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه ، ومنعتموه من ان يخبرنى بامر الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة . وانت ايها الوزير اعقل من الخادم ، فأخبرنى فى هذه الساعة اين ذهبت الصبية المليحة التى كانت نائمة فى حضنى فى تلك الليلة ؟ فانتم الذين ارسلتموها عندى وامرتموها ان تبيت فى حضنى ، ونمت معها إلى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها ، فاين هى الآن ؟

فقال له الوزير : يا سيدى قمر الزمان اسم الله حواليك . والله ما ارسلنا لك فى هذه الليلة احدا ، وقد نمت وحدك والباب مقفل عليك والخادم نائم من خلف الباب ، وما اتى إليك صبية ولا غيرها ، فارجع إلى عقلك يا سيدى ولا تشغل خاطرك .

فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه : ايها الوزير إن تلك الصبية معشوقتى ، وهى المليحة وصاحبة العيون السود والخدود الحمر التى عانقتها فى هذه الليلة .

فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له : هل رايت تلك الصبية فى هذه الليلة بعينيك فى اليقظة او فى المنام .

فقال له قمر الزمان : يا ايها الشيخ النحس اتظن انى رايتها باذنى ؟ إنما رايتها بعيونى فى اليقظة ، وقلبتها بيدى ؛ وسهرت معها نصف ليلة كاملة وانا اتامل حسنها وجمالها ، وظرفها ودلالا . وإنما انتم اوصيتموها انها لا تكلمنى فتظاهرت بلنوم ، فنمت بجانبها إلى الصباح ، ثم استيقظت من منامى فلم أجدها .

فقال له الوزير : يا سيدى قمر الزمان ربما تكون رايت هذا الأمر فى المنام ، فيكون أضغاث احلام ، أو تخيلات من اكل مختلف الطعام ، او وسوسة من الشياطين اللئام .

فقال له قمر الزمان : يا ايها الشيخ النحس كيف تهزأ بى انت الآخر وتقول لى : « لعل هذا اضغاث احلام » ، مع ان الخادم قد اقر لى بالصبية وقال لى : فى هذه الساعة اعود إليك وأخبرك بقصتها .

ثم إن قمر الزمان قام من وقته ، وتقدم إلى الوزير وقبض لحيته بيده — وكانت لحيته طويلة — فأخذها قمر الزمان ولفها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير والقاه على الارض . . فاحس الوزير ان روحه طلعت من شدة نتف لحيته . ولا زال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد يهلكه . فقال الوزير فى نفسه : إذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذا الصبى المجنون بكذبة فلنا

اولى بذلك منه ، واخلص نفسى انا الآخر بكذبة وإلا اهلكنى ، فها انا ذا اكذب واخلص روحى منه ، فإنه مجنون ولا شك فى جنونه .

ثم إن الوزير التفت إلى قمر الزمان وقال له : يا سيدى لا تؤاخذنى فإن والدك اوصانى أن اكتم عنك خبر هذه الصبية . وانا الآن عجزت وكللت من الضرب لانى صرت رجلا كبيرا ، وليس لى قوة على تحمل الضرب .. فتمهل علىّ قليلا حتى احدثك بقصة الصبية .



فعند ذلك منع عنه الضرب وقال له : لاى شىء لم تخبرنى بخبر تلك الصبية إلا بعد الضرب والإهانة ؟ فقم يا ايها الشيخ النحس واحك لى خبرها .

فقال له الوزير : هل تسال عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح ؟

فقال له قمر الزمان : نعم ، اخبرنى ايها الوزير من الذى جاء بها إلى وانامها عندى ؟ واين هى فى هذه الساعة حتى اروح انا إليها بنفسى ؟ فإن كان ابى الملك شهرمان فعل معى هذه الفعال وامتحننى بتلك الصبية المليحة من اجل الزواج ، فانا رضيت أن اتزوج بها . فإنه ما فعل معى هذا الأمر كله وولع خاطرى بتلك الصبية وبعد ذلك حجبها عنى ، إلا من

اجل امتناعى من الزواج . فها انا ذا رضيت بالزواج ثم رضيت بالزواج ، فاعلم والدى بذلك أيها الوزير واشر عليه بأن يزوجنى بتلك الصبية ، فإننى لا أريد سواها وقلبى لم يعشق غيرها . فقم واسرع إلى ابى واشر عليه بتعجيل زواجى ، ثم عد إلىّ قريبا فى هذه الساعة .

فما صدق الوزير بالخلاص من قمر الزمان حتى خرج من البرج وهو يجرى ، إلى ان دخل على الملك شهرمان .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢١٢

(فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير خرج يجرى من البرج إلى ان دخل على الملك شهرمان ، فلما دخل عليه قال له الملك : ايها الوزير مالى اراك فى ارتباك ؟ ومن الذى بشره رماك حتى جئت مرعوبا ؟

فقال للملك : إنى قد جئتك ببشارة .

قال له الملك : وما تلك البشارة ؟

قال له : اعلم ان ولدك قمر الزمان قد اصابه جنون .

فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء فى وجهه ظلاما ، وقال له : ايها الوزير اوضح لى صفة جنون ولدى .

قال الوزير : سمعا وطاعة .

ثم اخبره بما صدر من ولده ، فقال الملك : ابشر ايها الوزير بانى اعطيك فى نظير بشارتك إياى بجنون ولدى ، ضرب رقبتك وزوال النعم عنك يا انحس الوزراء واخبث الامراء . لانى اعلم انك سبب جنون ولدى بمشورتك ورايك التعيس الذى اشرت به على فى الأول والآخر . والله إن كان تأتى على ولدى شيء من الضرر او الجنون لاسمرنك على القبة ، واذيقنك النكبة .

ثم إن الملك نهض قائما على اقدامه واخذ الوزير معه ، ودخل به البرج الذى فيه قمر الزمان . فلما وصلا إليه قام قمر الزمان على قدميه لوالده ونزل سريعا من فوق السرير الذى هو جالس عليه وقبل يديه ، ثم تأخر وراءه واطرق إلى الارض وهو عاقد اليدين قدام ابيه ، ولم يزل كذلك ساعة زمانية . وبعد ذلك رفع راسه إلى والده وفرت الدموع من عينيه وسالت على خديه ، وانشد قول الشاعر :

إن كنت قد اذنبت ذنبا سالف في حقكم واتيت شيئا منكرا
انا تائب عما جنيت وعفوكم يسع المسيء اذا اتى مستغفرا

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبله بين عينيه ، واجلسه إلى جانبه فوق السرير . ثم التفت إلى الوزير بعين الغضب وقال له : يا كلب الوزراء كيف تقول على ولدى قمر الزمان ما هو كذا وكذا ، وترعب قلبى عليه ؟

ثم التفت إلى ولده وقال له : يا ولدى ما اسم هذا اليوم ؟

فقال له : يا والدى هذا يوم السبت ، وغدا يوم الأحد ، وبعده يوم الاثنين ، وبعد الثلاثاء ، وبعده الأربعاء ، وبعده الخميس ، وبعده الجمعة .

فقال له الملك : يا ولدى يا قمر الزمان الحمد لله على سلامتك ، ما اسم هذا الشهر العربى الذى نحن فيه ؟

فقال : اسمه ذو القعدة ، ويليه ذو الحجة ، وبعده المحرم ، وبعده صفر ، وبعده ربيع الأول ، وبعده ربيع الآخر ، وبعده جمادى الأولى ، وبعده جمادى الآخرة ، وبعده رجب ، وبعده شعبان ، وبعده رمضان ، وبعده شوال .

ففرح الملك بذلك فرحا شديدا ، وبصق فى وجه الوزير وقال له : يا شيخ السوء كيف تزعم ان ولدى قمر الزمان قد جن ، وما جن إلا انت ؟ فعند ذلك حرك الوزير راسه واراد ان يتكلم ، ثم خطر بباله ان يتمهل

قليلا لينظر ماذا يكون . ثم إن الملك قال لولده : يا ولدى اى شيء هذا الكلام الذى تكلمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما : « إنك كنت نائما مع صبية مليحة فى هذه الليلة » ؟ فما شأن هذه الصبية التى ذكرتها ؟

فضحك قمر الزمان من كلام ابيه وقال له : يا والدى اعلم انه ما بقى لى قوة تتحمل السخرية ، فلا تزيدوا علىّ ولا كلمة واحدة ، فقد ضاقت نفسى بما تفعلونه معى . واعلم يا والدى انى رضيت بالزواج ، ولكن بشرط أن تزوجنى تلك الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة ، فإنى متيقن انك انت الذى ارسلتها إلىّ وشوقتنى إليها ، وبعد ذلك ارسلت إليها قبل الصبح واخذتها من عندى .

فقال الملك : اسم الله حواليك يا ولدى ، سلامة عقلك من الجنون .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢١٣

(فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان : اسم الله حواليك يا ولدى ، سلامة عقلك من الجنون ! فاى شيء هذه الصبية التى تزعم انى ارسلتها إليك فى هذه الليلة ، ثم ارسلت اخذتها من عندك قبل الصباح ؟ فوالله يا ولدى ليس لى علم بهذا الأمر . فبالله عليك اخبرنى هل ذلك اضغاث احلام ، او تخيلات طعام ؟ فإنك بت فى هذه الليلة وانت مشغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره . قبح الله الزواج وساعته وقبح من اشار به ! ولا شك انك متكدر المزاج من جهة الزواج ، فرأيت فى المنام ان صبية مليحة تعانقك وانت تتوهم انك رايتها فى اليقظة ، وهذا كله يا ولدى اضغاث احلام .

فقال قمر الزمان : دع عنك هذا الكلام ، واحلف بالله الخالق العلام

قاسم الجبابرة ، ومبيد الأكاسرة ، إنه لم يكن عندك خبر عن الصبية ومحلها .

فقال له الملك : وحق الله العظيم ، إله موسى وإبراهيم ، إنه لم يكن لى علم بذلك . ولعله أضغاث أحلام رأيته فى المنام .

فقال قمر الزمان لوالده : انا اضرب لك مثلا يبين لك ان هذا كان فى اليقظة .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢١٤

(فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال لوالده : انا اضرب لك مثلا يبين لك ان هذا كان فى اليقظة ، وهو انى اسالك ، هل اتفق لأحد انه راى نفسه فى المنام يقاتل وقد قاتل قتالا شديدا ، وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد فى يده سيفا ملوثا بالدم ؟

فقال له والده : لا والله يا ولدى لم يتفق هذا .

فقال له قمر الزمان : اخبرك بما حدث لى ، وهو انى رايت فى هذه الليلة كانى استيقظت من منامى نصف الليل فوجدت بنتا نائمة بجانبى ، وقدها كقدى ، وشكلها كشكلى .. فعانقتها وامسكتها بيدى ، واخذت خاتمها ووضعته فى اصبعى ، وامتنعت عنها حياء منك . وظننت انك ارسلتها واستخفيت فى موضع لتنظر ما افعل ، واستحييت من اجل ذلك ان اقبلها فى فمها حياء منك ، وخطر ببالى انك تمتحننى بها حتى ترغبنى فى الزواج . وبعد ذلك انتبهت من منامى فى وجه الصبح فلم اجد للصبية من اثر ، ولا وقفت لها على خبر . وجرى لى مع الخادم والوزير ما جرى ، فكيف يكون هذا الأمر كذبا وامر الخاتم صحيحا ؟

ولولا الخاتم كنت اظن انه منام ، وهذا خاتمها الذى فى خنصرى فى هذه الساعة ، فانظر ايها الملك إلى الخاتم كم يساوى .

ثم إن قمر الزمان ناول الخاتم لأبيه فأخذه وقلبه ، ثم التفت إلى ولده وقال له : إن لهذا الخاتم نبأ عظيما ، وخبرا جسيما . وإن الذى اتفق لك فى هذه الليلة مع تلك الصبية امر مشكل ، ولا اعلم من اين دخل علينا هذا الدخيل ، وما تسبب فى هذا كله إلا الوزير . فبالله عليك يا ولدى اصبر لعل الله يفرج عنك هذه الكربة ، ويأتيك بالفرج العظيم ، كما قال الشاعر :

عسى ولعل الدهر يلوى عنانه ويأتى بخير فالزمان غيور
وتسعد آمالى وتقضى حوائجى وتحدث من بعد الأمور أمور

فيا ولدى قد تحققت فى هذه الساعة انه ليس بك جنون ، ولكن قضيتك ما يجليها عنك إلا الله .

فقال قمر الزمان لوالده : اسألك بالله يا والدى ان تفحص لى عن هذه الصبية وتعجل بقدومها ، وإلا مت كمدا .

ثم إن قمر الزمان اظهر الوجد ، والتفت إليه ابيه وانشد هذين البيتين :

إن كان فى وعدكم بالوصل تزوير ففى الكرى واصلوا المشتاق او زوروا
قالوا وكيف يزور الطيف جفن فتى منامه عنه ممنوع ومحجور

ثم إن قمر الزمان بعد إنشاد هذه الأشعار التفت إلى ابيه بخضوع وانكسار ، وافاض العبرات ، وانشدت هذه الأبيات :

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان افاض العبرات ، وأنشد هذه الأبيات :

خذوا حذركم منطرفها فهو ساحر ... وليس بنساج من رمته المحاجر
ولا تخدعوا من رقة فى كلامها ... فإن الحميا للعقول تخامر
منعمة لو لامس الورد خدها ... بكت وبدت من مقلتيها البواتر
فلو فى الكرى مر النسيم بأرضها ... سرى ابدا من ارضها وهو عاطر
قلائدها تشكو رنين وشاحها ... وقد خرست من معصميها الأساور
ولى عاذل فى حبها غير عاذر ... وما تنفع الأبصار لولا البصائر
عذولى لحاك الله ما انت منصف ... إلى مثل هذا الحسن تثنى النواظر

فلما فرغ قمر الزمان من شعره قال لوالده : إنى لا استطيع الصبر على انتظارها ولا ساعة .

فضرب ابوه كفاً على كف وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! يا بنى لا حيلة لنا فى هذه الأمور ، وما جرت به المقادير .

ثم أخذ بيد ابنه ، وقاده إلى القصر حيث رقد قمر الزمان على الفراش مريضا ، وجلس ابوه عند راسه يبكى وينوح على ولده ولا يفارقه ليلا ولا نهارا . فلما طال به الحال جاءه الوزير وقال له : يا ملك الزمان إلى متى أنت محجوب عن العسكر عند ولدك قمر الزمان ؟ فربما يفسد عليك نظام الملكة بسبب بعدك عن ارباب دولتك . والعاقل إذا الم بجسمه أمراض مختلفة يجب عليه ان يبدا بمداواة أعظمها . والراى عندى ان تنقل ولدك من هذا المكان إلى القصر المطل على البحر وتنقطع عند ولدك ، وتجعل للموكب والديوان فى كل جمعة يومين : الخميس والاثنين ، فيدخل عليك فيهما الأمراء والوزراء ، والحجاب والنواب ، وارباب الدولة

وخواص المملكة ، واصحاب الصولة وبقية العساكر والرعية ، ويعرضون عليك احوالهم . فاقض حوائجهم ، واحكم بينهم ، وخذ واعط معهم ، وأمر وانه بينهم ، وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان . ولا تزال على تلك الحال حتى يفرج الله عنك وعنه . ولا تأمن ايها الملك من نوائب الزمان ، وطوارق الحدثان ، فإن العاقل دائما محاذر ، وما أحسن قول الشاعر :

حسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف ســـوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بهـــا وعند صفو الليالى يحدث الكدر

يا معشر الناس ، منكان الزمانله مساعدا فليكن من رايه الحـــذر

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صوابا ونصيحة فى مصلحته ، فاثر فيه وخاف ان يفسد عليه نظام الملك . فنهض من وقته وساعته وامر بتحويل ولده من ذلك المــكان إلى القصر المطل على البحر ، والذى يمشون إليه على ممشاة فى وسط البحـــر عرضها عشرون ذراعا ، وبدائر القصر شبابيك مطلة على البحر . وأرض ذلك القصر مفروشة بالرخام الملون ، وسقفه مدهون بأفخر الأدهان من سـائر الألوان ، ومنقوش بالذهب واللازورد . ففرشـوا لقمر الزمان فيه البسـط الحرير ، والبســوا حيطانه الديباج ، وأرخوا عليه الستّارات المكللة بالجوهر . ودخل فيه قمر الزمان وصار من شدة العشق كثير السهر ، واصفر لونه ونحل جسمه ، وجلس والده الملك شهرمان عند رأسه ، وحزن عليه . وصار الملك فى كل يوم اثنين وخميس يأذن فى ان يدخل عليه من شاء الدخول من الأمراء والوزراء ، والحجاب والنـــواب وارباب الدولة ، وسائر العساكر والرعية فى ذلك القصر ، فيــدخلون عليه ويؤدون وظائف الخدمة ، ويقيمون عنده إلى آخر النهار ثم ينصرفون بعد ذلك إلى حال سبيلهم . وبعد ذلك يدخل الملك عند ولده قمر الزمان فى ذلك المكان ولا يفارقه ليلا ولا نهارا . ولم يزل على تلك الحال مدة ايام وليال من الزمان .

هذا ما كان من أمر قمر الزمان ، ابن الملك شـهرمان .

واما ما كان من امر الملكة بدور ، بنت الملك الغيور صاحب الجزائر السبعة ، فإن الجنيين لما حملاها وأناماها فى فراشها لم يبق من الليل إلا ثلاث ساعات . ثم طلع الفجر فاستيقظت من منامها ، وجلست والتفتت يمينا وشمالا فلم تر معشوقها الذى كان فى حضنها ، فارتجف فؤادها وزال عقلها وصرخت صرخة عظيمة ، فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن عليها . فتقدمت إليها كبيرتهن وقالت لها : يا سيدتى ما الذى أصابك ؟

فقلت لها : أيتها العجوز النحس أين معشوقى الشاب المليح الذى كان نائما هذه الليلة فى حضنى ؟ فأخبرينى أين راح .

فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلاما ، وخافت من بأسها خوفا عظيما وقالت : يا سيدتى بدور ، أى شىء هذا الكلام القبيح ؟

فقالت السيدة بدور : ويلك يا عجوز النحس ! اين معشوقى الشاب المليح ، صاحب الوجه الصبيح والعيون السود والحواجب المقرونة ، الذى كان بائتا عندى من العشاء إلى قرب طلوع الفجر ؟

فقالت : والله ما رأيت شابا ولا غيره . فبالله يا سيدتى لا تمزحى هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح ارواحنا ، وربما بلغ اباك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده ؟

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن القهرمانة قالت للسيدة بدور : بالله عليك لا تمزحى هذا المزاح الخارج عن الحد ، فإنه ربما بلغ أباك فمن يخلصنا من يده ؟

فقالت لها الملكة بدور : إنه كان غلاما بائتا عندى فى هذه الليلة ، وهو من أحسن الناس وجها .

فقالت لها القهرمانة : سلامة عقلك ! ما كان أحد بائتا عندك فى هذه الليلة .

فعند ذلك نظرت السيدة بدور إلى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان فى أصبعها ولم تجد خاتمها ؛ فقالت للقهرمانة : ويلك يا خائنة ، تكذبين علىّ وتقولين ما كان أحد بائتا عندك ، وتحلفين بالله باطلا .

فقالت القهرمانة : والله ما كذبت عليك ولا حلفت باطلا !



فاغتاظت منها السيدة بدور ، وتناولت سيفا كان عندها وضربت القهرمانة فقتلتها .

فعند ذلك صاح الخدام والجوارى والسرارى عليها ، وراحوا إلى أبيها وأعلموه بحالها . فأتى الملك إلى ابنته السيدة بدور من وقته وساعته وقال لها : يا بنتى ما خبرك ؟

فقالت : يا أبى أين الشاب الذى كان نائما بجانبى فى هذه الليلة ؟



وطار عقلها من راسها وصارت تلتفت بعينها يمينا وشمالا ، ثم شقت ثوبها إلى ذيله . فلما راى ابوها تلك الفعال أمر الجوارى والخدم ان يمسكوها ، فقبضوا عليها وقيدوها وجعلوا فى رقبتها سلسلة من حديد ، وربطوها فى الشباك الذى فى القصر .

هذا ما كان من أمر الملكة بدور .

واما ما كان من أمر ابيها الملك الغيور فإنه لما راى ما جرى على ابنته السيدة بدور ، ضاقت عليه الدنيا لأنه كان يحبها ، فلم يهسن عليه أمرها . فعند ذلك احضر المنجمين والحكماء واصحاب الأقلام وقال لهم : من ابرا ابنتى مما هى فيه زوجته بها ، واعطيته نصف مملكتى ، ومن لم يبرئها ضربت عنقه وعلقت راسه على باب قصرها .

وصار كل من دخل عليها ولم يبرئها يضرب عنقه ويعلق رأسه على باب القصر . ولم يزل يفعل ذلك إلى ان قطع من اجلها اربعين راسا . فطلب سائر الحكماء فتوقف جميع الناس عنها ، وعجز جميع الحكماء عن شفاء دائها ، واشكلت قضيتها على اهل العلوم وارباب الأقلام .

ثم إن السيدة بدور لما زاد بها الوجد والغرام ، واضر بها العشق والهيام ، اجرت العبرات ، وانشدت هذه الأبيات :

غرامى فيك يا قمرى غريمى ... وذكرك فى دجى ليلى نديمى
ابيت واضلعى فيها لهيب ... يحاكى حره نار الجحيم
بليت بفرط وجد واحتراق ... عذابى منهما اضحى اليمى

ثم انشدت ايضا :

سلامى على الأحباب فى كل منزل ... فإنى إلى نحو الحبيب اريد
سلامى عليكم لا سلام مودع ... سلام كثير لا يزال يزيد
وإنى لأهواكم واهوى دياركم ... ولكننى عما اريد بعيد

فلما فرغت السيدة بدور من إنشاد هذه الأبيات ، بكت حتى مرضت جفونها وذبلت وجناتها . ثم إنها استمرت على هذه الحال ثلاث سنين .

وكان لها اخ من الرضاع يسمى مرزوان ، وكان سافر إلى اقصى البلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها ، وكان يحبها محبة زائدة على محبة الأخوة . فلما حضر دخل على والدته وسالها عن اخته السيدة بدور فقالت له : يا ولدى إن اختك اصابها جنون ، ومضت عليها ثلاث سنين وفى رقبتها سلسلة من حديد ، وعجز الأطباء عن دوائها .

فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال : لابد من دخولى عليها لعلى أعرف ما بها ، واقدر على دوائها .

فلما سمعت امه كلامه قالت : لابد من دخولك عليها ، ولكن اصبر إلى غد حتى أحتال فى أمرك .

ثم إن امه ذهبت إلى قصر السيدة بدور واجتمعت بالخادم الموكل

بالباب ، واهدت له هدية وقالت له : إن لى بنتا وقد تربت مع السيدة بدور وقد زوجتها ، ولما جرى لسيدتك ما جرى صار قلبهـا متعلقا بها ، وارجو من فضلك ان تأتى بنتى عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ، ولا يعلم بها احد .

فقال الخادم : لا يمكن ذلك إلا فى الليل ، فبعد ان ياتى السلطان ينظر ابنته ويخرج ادخلى أنت وابنتك .

فقبلت العجوز يد الخادم وخرجت إلى بيتها . فلما جاء وقت العشاء من الليلة القابلة ، قامت من وقتها وساعتها واخذت ولدها مرزوان والبسته بذلة من ثياب النساء ، وجعلت يده فى يدها وادخلته القصر ، وما زالت تمشى حتى اوصلته إلى الخادم بعد انصراف السلطان من عند ابنته . فلما رآها الخادم قام واقفا وقال لها : ادخلى ولا تطيلى القعود .

فلما دخلت العجوز بولدها مرزوان راى السيدة بدور فى تلك الحال ، فسلم عليها بعد أن كشفت عنه امه ثياب النساء . فاخرج مرزوان الكتب التى معه واوقد شمعة ، فنظرت إليه السيدة بدور فعرفته وقالت له : يا أخى أنت كنت سافرت وانقطعت أخبارك عنا .

فقال لها : صحيح ولكن ردنى الله بالسلامة . واردت السفر ثانيا فما ردنى عنه إلا هذا الخبر الذى سمعته عنك ، فاحترق فؤادى عليك وجئت إليك لعلى اعرف داءك ، واقدر على دوائك .

فقالت له : يا أخى هل تحسب ان الذى اعترانى جنون ؟

ثم اشارت إليه ، وانشدت هذين البيتين :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم	ما لذة العيش إلا للمجانين
نعم جننت فهاتوا من جننت به	إن كان يشفى جنونى لاتلومونى

فعلم مرزوان انها عاشقة فقال لها : اخبرينى بقصتك وما اتفق لك ، لعل الله يطلعنى على ما فيه خلاصك .

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢١٧

(فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان مرزوان قال للسيدة بدور : لعل الله يطلعنى على ما فيه خلاصك .

فقالت له السيدة بدور : يا اخى اسمع قصتى .. وذلك اننى استيقظت من منامى ليلة فى الثلث الأخير من الليل وجلست ، فرايته بجانبى شابا أحسن ما يكون من الشبان ، يكل عن وصفه اللسان ، كأنه غصن بان ، أو قضيب خيزران . فظننت أن ابى هو الذى امره بهذا الأمر ليمتحننى به لأنه راودنى عن الزواج لما خطبنى منه الملوك فابيت . فهذا الظن هو الذى منعنى من ان انبهه ، وخشيت انى إذا ما عانقته ربما يخبر ابى بذلك ، فلما اصبحت رايت بيدى خاتمه عوضا عن خاتمى . فهذه حكايتى ، وانا يا اخى قد تعلق قلبى به من حين رؤيته . ومن كثرة عشقى والغرام لم اذق طعم المنام ، ومالى شغل غير بكائى بالدموع الغزار ، وإنشاد الأشعار ، بالليل والنهار .

ثم افاضت العبرات ، وانشدت هذه الأبيات :

أبعد الحب لذاتى تطيب ... وذاك الظبى مرتعه القلوب

دم العشاق أهون ما عليه ... وفيه مهجة المضنى تذوب

أغار عليه من نظرى وفكرى ... فمن بعضى على بعضى رقيب

واجفان له ترمى سهاما ... فواتك فى القلوب لنا تصيب

فهل لى ان اراه قبل موتى ... إذا ما كان فى الدنيا نصيب

واكتم سره فينم دمعى ... بما عندى ويعلمه الرقيب

قريب ، وصله منى بعيد ... بعيد ذكره منى قريب

ثم إن السيدة بدور قالت لمرزوان : انظر يا اخى ما الذى تفعله فيما اعترانى .

فأطرق مرزوان إلى الأرض ساعة ، وهو يتعجب وما يدرى ما يفعل ، ثم رفع راسه وقال لها : جميع ما جرى لك صحيح ، وإن حكاية هذا الشاب أعيت فكرى ، ولكن أدور فى جميع البلاد أفتش عن دوائك ، لعل الله يجعله على يدى ، فاصبرى ولا تقلقى .

ثم إن مرزوان ودعها ودعا لها بالثبات ، وخرج من عندها وهى تنشد هذه الأبيات :

ويخطو لى خيالك فى ضميرى	على بعد المكان خطا مـــزور
وتدنيك الأمانى من فــؤادى	واين البرق من لمح البصـــير
فلا تبعــد لانك نور عيـــنى	إذا ما غبت لـــم تكحـــل بنور

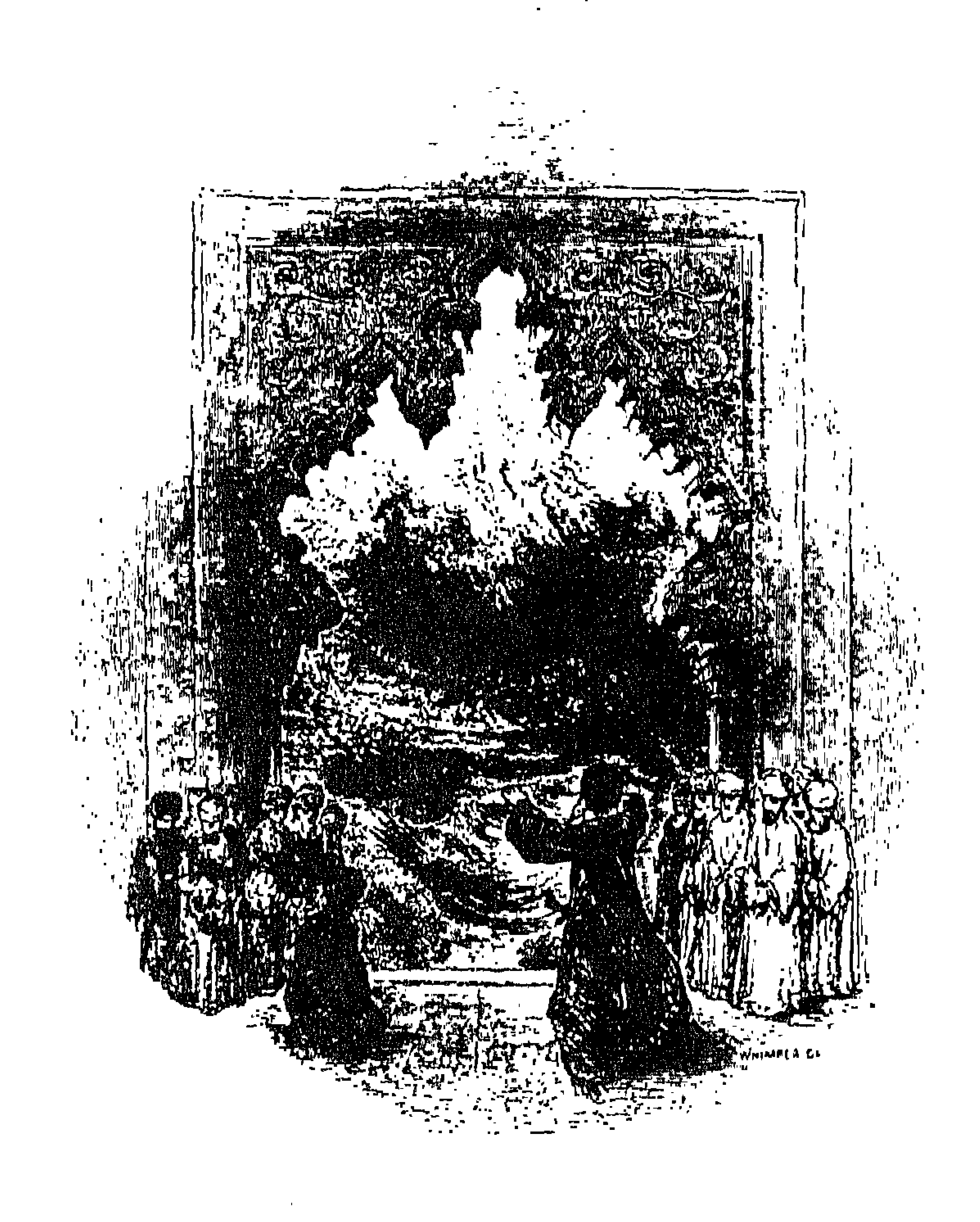
ثم إن مرزوان تمشى إلى بيت والدته فنام تلك الليلة . ولما اصبح الصباح تجهز للسفر فسافر . . ولم يزل مسافرا من مدينة إلى مدينة ومن جزيرة إلى جزيرة مدة شهر كامل ، ثم دخل مدينة يقال لها الطيرب ، واستنشق الأخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور . وكان كلما دخل مدينة أو مر بها يسمع ان الملكة بدور بنت الملك الغيور قد اصابها جنون ، ولم يزل يستنشق الأخبار حتى وصل إلى مدينة الطيرب فسمع ان قمر الزمان بن الملك شهرمان مريض وانه اعتراه وسواس وجنون . فلما سمع مرزوان بخبره سأل بعض أهالى تلك المدينة عن بلاده ومحل تخته ، فقالوا له : جزائر خالدات وبيننا وبينها مسيرة شهر كامل فى البحر ، وأما فى البر فستة اشهر .

فنزل مرزوان فى مركب إلى جزائر خالدات ، وكان المركب مجهزا للسفر . وطاب له الريح مدة شهر فبانت لهم المدينة . ولما اشرفوا عليها ولم يبق لهم إلا الوصول إلى الساحل ، هبت عليهم ريح عاصفة أوقعت القلوع فى البحر ، وانقلب المركب بجميع ما فيه .

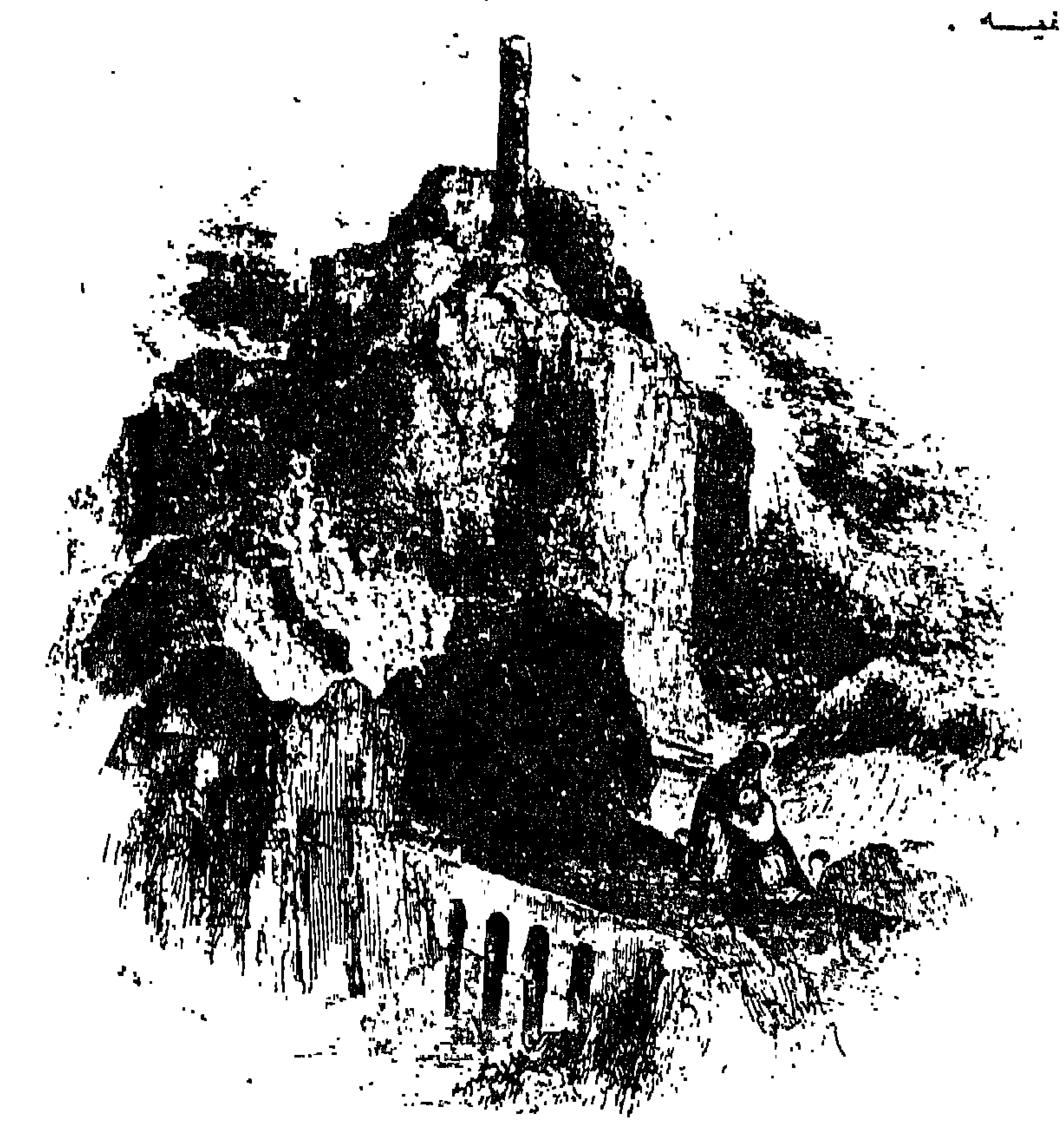
وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢١٨

(فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد المائتين) قالت : بلغنى ايهـا الملك السعيد ان المركب انقلب بجميع ما فيه واشتغل كل واحد بنفسه . واما مرزوان فقد جذبته قوة التيار جذبة حتى اوصلته تحت قصر الملك الذى فيه قمر الزمان . وكان بالأمر المقدور قد اجتمع الأمراء والوزراء



عنده للخدمة ، والملك شهرمان جالس ورأس ولده قمر الزمان فى حجره وخادم يروح له . وكان قمر الزمان مضى له يومان وهو لم يأكل ولم يشرب ولم يتكلم . وصار الوزير واقفا عند رجليه قريبا من الشباك المطل على البحر ، فرفع الوزير بصره فرأى مرزوان قد أشرف على الهلاك من التيار وبقى على آخر نفس . فرق قلب الوزير له فتقرب من السلطان ومد راسه إليه وقال له : استأذنك فى ان أنزل إلى ساحة القصر وافتح بابها ، لأنقذ إنسانا قد أشرف على الغرق فى البحر وأطلعه من الضيق إلى الفرج ، لعل الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه .



فقال السلطان : كل ما جرى لولدي بسببك ، ولعلك إذا اطلعت هذا الغريب يطلع على احوالنا وينظر إلى ولدى فى هذه الحالة فيشمت بى . ولكن اقسم بالله إن طلع هذا الغريق ونظر إلى ولدى وخرج يتحدث مع احد بأسرارنا لأضربن رقبتك قبله ، لأنك ايها الوزير سبب ما جرى لنا اولا وآخرا ، فافعل ما بدا لك .

فنهض الوزير وفتح باب الساحة ، ونزل فى المشاة عشرين خطوة ، ثم خرج إلى البحر فراى مرزوان مشرفا على الموت . فمد الوزير يده إليه وأمسكه من شعر راسه وجذبه منه ، فخرج من البحر وهو فى حال العدم وقد امتلأ بطنه ماء وبرزت عيناه . فصبر الوزير عليه حتى ردت روحه إليه ، ثم نزع عنه ثيابه والبسه ثيابا غيرها ، وعممه بعمامة من عمائم غلمانه .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢١٩

(**فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد المائتين**) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل قال له : إنى كنت سببا فى نجاتك من الغرق ، فلا تكن سببا لموتى وموتك .

فقال مرزوان : وكيف ذلك ؟

قال الوزير : لأنك فى هذه الساعة تطلع وتشق بين امراء ووزراء ، والكل ساكتون لا يتكلمون من اجل قمر الزمان بن السلطان .

فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لانه كان يسمع بحديثه فى البلاد . فقال مرزوان : ومن قمر الزمان ؟

فقال الوزير : هو ابن السلطان شهرمان ، وهو ضعيف ملقى على الفراش لا يقر له قرار ، ولا يعرف ليلا من نهار ، وكاد يفارق الحياة من نحول جسمه ويصير من الأموات . فنهاره لهيب ، وليله فى تعذيب ،

وقد يئسنا من حياته وايقنا بوفاته . وإياك أن تطيل النظر إليـه أو تنظر إلى غير الموضع الذى تحط فيه رجلك ، وإلا تزهـق روحـك وروحى .

فقال له : بالله اخبرنى عن هذا الشاب الذى وصفته لى ، ما سبب هذا الأمر الذى هو فيه ؟

فقال له الوزير : لا أعلم له سببا إلا ان والده منذ ثلاث سـنين كان يراوده عن أمر الزواج وهو يأبى .. فأصبح يزعم انه كان نائما فراى بجنبه صبية بارعة الجمال ، وجمالها يحير العقول ويعجز عنـه الوصف ، وذكر لنا انه نزع خاتمها من أصبعها ولبسـه ، ونحن لا نعرف باطن هذه القضية . فبالله يا ولدى اطلع معى القصر ولا تنظر إلى ابن الملك ، ثم بعد ذلك رح إلى حال سبيلك فإن السلطان قلبه ملآن على غيظا .

فقال مرزوان فى نفسـه : والله إن هذا هو المطلوب .

ثم طلع مرزوان خلف الوزير إلى ان وصل إلى القصر ، ثم جلس الوزير تحت رجلى قمر الزمان ، وأما مرزوان فإنه لم يكن له داب إلا انه مشى حتى وقف قدام قمر الزمان ونظر إليه . فمات الوزير فى جلده ، وصار ينظر إلى مرزوان ويغمزه ليروح إلى حال سبيله ، ومرزوان يتغافل وينظر إلى قمر الزمان وعلم انه هو المطلوب .

وادرك شـهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مرزوان لما نظر إلى قمر الزمان وعلم انه هو المطلوب ، قال : سبحان الله ! جعل قده مثل قدها ، ولونه مثل لونها ، وخده مثل خدها .

ففتح قمر الزمان عينيه واصغى بأذنيه . فلما رآه مرزوان مصغيا إلى ما يلقيه من الكلمات ، انشد هذه الأبيات :

اراك طروبا ذا شجى وترنم ... تميل إلى ذكر المحاسن بالفم

اصابك عشق أم رميت بأسهم ... فما هذه إلا سجية من رمى

الا فاسقنى كاسات خمر وغن لى ... بذكر سليمى والرباب وتنعم

اغار على أعطافها من ثيابها ... إذا لبستها فوق جسم منعم

واحسد كاسات تقبل ثغرها ... إذا وضعتها موضع اللثم فى الفم

فلا تحسبوا أنى قتلت بصارم ... ولكن لحاظ قد رمتنى بأسهم

ولما تلاقينا وجدت بنانها ... مخضبة تحكى عصارة عندم

فقالت والقت فى الحشا لاعج الجوى ... مقالة من للحب لم يتكتم

رويدك ما هذا خضاب خضبته ... فلا تك بالبهتان والزور متهمى

ولكننى لما رايتك نائما ... وقد كشفت كفى وزندى ومعصمى

بكيت دما يوم النوى فمسحته ... بكفى فابتلت بنانى من دمى

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... لكنت شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فلا تعذلونى فى هواها لاننى ... وحق الهوى فيها كثير التألم

بكيت على من زين الحسن وجهها ... وليس لها مثل بعرب واعجم

لها علم لقمان وصـــورة يوسف ونغمـــة داود وعفـــة مـريم
ولى حزن يعقوب وحسرة يونس وبـلوة ايـوب وقصــــة آدم
فلا تقتلوها إن قتلت بها جـوى بلى فاسألوها كيف حل لها دمى

فلما انشد مرزوان هذا الشـــعر نزل على قلب قمر الزمان بـــردا وسلاما .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٢١

(**فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائتين**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان مرزوان لما انشد هذا الشعر نزل على قلب قمر الزمان بردا وسلاما ، ودار لسانه فى فمه ، واشار إلى السلطان بيده : دع هذا الشاب يجلس فى جانبى .

فلما سمع السلطان من ولده قمر الزمان هذا الكلام ، فرح فرحا شديدا بعد أن غضب على الشاب واضمر فى نفسه انه يضرب عنقه . ثم قام الملك واجلس مرزوان إلى جانب ولده واقبل عليه وقال له : من اى البلاد انت ؟

قال : من الجزائر الجوانية ، من بلاد الملك الغيور ، صاحب الجزائر والبحور ، والسبعة القصور .

فقال له الملك شهرمان : عسى ان يكون الفرج على يدك لولدي قمر الزمان .

ثم إن مرزوان اقبل على قمر الزمان وقال له فى اذنه : ثبت قلبك وطب نفسا وقر عينا ، فإن التى صرت من اجلها هكذا لا تسال عما هى فيه من أجلك . ولكنك كتمت أمرك فضعفت واما هى فإنها اظهرت ما بها

فجننت ، وهى الآن مسجونة باسوا حال وفى رقبتها غل من حديد ، وإن شاء الله تعالى يكون دواؤكما على يدى .

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ردت روحه إليه واستفاق ، واشار إلى الملك والده ان يجلسه ، ففرح فرحا زائدا واجلس ولده ، ثم اخرج جميع الوزراء والأمراء .. واتكأ قمر الزمان بين مخدتين . وامر الملك ان يطيبوا القصر بالزعفران ، ثم امر بزينة المدينة وقال لمرزوان : « والله يا ولدى إن هذه طلعة مباركة » . ثم اكرمه غاية الإكرام ، وطلب لمرزوان الطعام فقدموه له ، فأكل واكل معه قمر الزمان وبات عنده تلك اليلة ، وبات الملك عندهما من فرحته .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٢٢

(فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان السلطان شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولده ، فلما اصبح الصباح صار مرزوان يحدث قمر الزمان بالقصة وقال له : اعلم اننى اعرف التى اجتمعت بها ، واسمها السيدة بدور بنت الملك الغيور .

ثم حدثه بما جرى للسيدة بدور من الأول إلى الآخر واخبره بفرط محبتها له ، وقال له : جميع ما جرى لك مع والدك جرى لها مع والدها وانت من غير شك حبيبها وهى حبيبتك . فثبت قلبك وقو عزيمتك فها انا ذا اوصلك إليها واجمع بينك وبينها ، واعمل معكما كما قال بعض الشعراء :

إذا حبيب صد عن صبه ... ولم يزل من فرط إعراض
ألفت وصلا بين شخصيهما ... كأنني مسمار مقراض

ولم يزل مرزوان يشجع قمر الزمان حتى أكل الطعام وشرب الشراب ، وردت روحه إليه ونقه مما كان . ولم يزل مرزوان يحدثه وينادمه ويسليه وينشد له حتى دخل الحمام ، وأمر والده بزينة المدينة فرحا بذلك .

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٢٣

(**فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائتين**) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان خلع الخلع ، وتصدق واطلق من فى الحبوس . ثم إن مرزوان قال لقمر الزمان : اعلم اننى ما جئت من عند السيدة بدور إلا لهذا الأمر ، وهو سبب سفرى لأجل ان اخلصها مما هى فيه . وما بقى لنا إلا الحيلة فى رواحنا إليها ، لأن والدك لا يقدر على فراقك . . ولكن فى غد استأذن والدك فى انك تخرج إلى الصيد فى البرية ، وخذ معك خرجا ملآن من المال ، واركب جوادا من الخيل وخذ معكَ جنيبا وانا الآخر مثلكَ ، وقل لوالدك : إنى اريد ان اتفرج فى البرية واتصيد وانظر الفضاء ، وابيت هناك ليلة واحدة فلا تشغل قلبكَ علىّ بشىء .

ففرح قمر الزمان بما قاله مرزوان ، ودخل على والده واستأذنه فى الخروج إلى الصيد ، وقال له الكلام الذى أوصاه به مرزوان . فأذن له والده فى الخروج إلى الصيد وقال له : لا تبت غير ليلة واحدة وفى غد تحضر ، فإنك تعلم انه ما يطيب لى عيش إلا بكَ ، واننى ما صدقت انكَ خلصت مما كنت فيه .

ثم إن الملكَ شهرمان انشد هذين البيتين :

لو اننى اصبحت فى كل نعمة　　وكانت لى الدنيا وملك الأكاسره

لما وازنت عندى جناح بعوضة　　إذا لم تكن عينى لشخصك ناظره

ثم إن الملك جهز ولده قمر الزمان هو ومرزوان ؛ وامر ان يهيأ لهما ستة من الخيل ، وهجين برسم المال ، وجمل يحمل الماء والزاد . ومنع قمر الزمان ان يخرج معه احد فى خدمته ، فودعه ابوه وضمه إلى صدره وقال له : سألتك بالله لا تغب عنى إلا ليلة واحدة ، وحرام علىّ المنام فيها . وانشد يقول :

وصالك عندى الذ نعيم　　وصبرى عنك اضر السيم

فديتك إن كان ذنب الهوى　　إليك فذنبى اجل عظيم



أعندك مثلى نار الجوى

فأصلى بذاك عذاب الجحيم

ثم خرج قمر الزمان ومرزوان وركبا فرسين ، ومعهما الهجين عليه المال ، والجمل عليه الماء والزاد ، واستقبلا البر .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان ومرزوان لما استقبلا البر سارا أول يوم إلى المساء ، ثم نزلا واكلا وشربا واطعما دوابهما واستراحا ساعة . ثم ركبا وسارا . . وما زالا سائرين مدة ثلاثة ايام ، وفى رابع يوم بان لهما مكان متسع فيه غاب فنزلا فيه ، ثم اخذ مرزوان جملا وفرسا وذبحهما



وقطع لحمهما قطعا وكسر عظمهما ، واخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعا ولوثهما بدم الفرس ، واخذ ملوطة قمر الزمان ولوثها بالدم ورماها فى مفرق الطريق . ثم أكلا وشربا وسافرا ، فسأله قمر الزمان عما فعله فقال له مرزوان : اعلم ان والدك الملك شهرمان إذا غبت عنه ليلة ولم تحضر له ثانى ليلة يركب ويسافر فى أثرنا إلى ان

يصل إلى هذا الدم الذى فعلته ، ويرى قماشك مقطعا وعليه الدم ، فيظن فى نفسه انه جرى لك شىء من قطاع الطريق أو وحش البر ، فينقطع رجاؤه منك ويرجع إلى المدينة ، ونبلغ بهذه الحيلة ما نريد .

فقال قمر الزمان : نعم ما فعلت .

ثم سارا اياما وليالى ، كل ذلك وقمر الزمان باكى العين إلى ان استبشر بقرب الديار ، فأنشد هذه الأشعار :

اتجفو محبا ما سلا عنك ساعة	وتزهد فيه بعدما كنت راغبا
حرمت الرضا إن كنت خنتك فى الهوى	وعوقبت بالهجران إن كنت كاذبا
وما كان لى ذنب فاستوجب الجفا	وإن كان لى ذنب فقد جئت تائبا
ومن عجب الأيام انك هاجرى	وما زالت الايام تبدى العجائبا

فلما فرغ قمر الزمان من شعره بانت له جزائر الملك الغيور : ففرح قمر الزمان فرحا شديدا ، وشكر مرزوان على فعله .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٢٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما بانت له جزائر الملك الغيور ، فرح فرحا شديدا وشكر مرزوان على فعله . ثم دخلا المدينة وانزله مرزوان فى خان ، واستراحا ثلاثة أيام من السفر . وبعد ذلك دخل بقمر الزمان الحمام والبسه لباس التجار ، وصنع له تخت رمل من ذهب ، واعد له عدة وصنع له اصطرلابا من الذهب ، ثم قال له مرزوان : قم يا مولاى وقف تحت قصر الملك وناد : « أنا الحاسب الكاتب المنجم ، فأين الطالب » ، فإن سمعك الملك إذا سمعك يرسل خلفك ويدخل بك على

ابنته محبوبتك ، وهى حين تراك يزول مابها من الجنون ، ويفرح أبوها بسلامتها ويزوجها لك ويقاسمك فى ملكه ، لأنه شرط على نفسه هذا الشرط .

فقبل قمر الزمان ما أشار به مرزوان ، وخرج من الخان وهو لابس البذلة ، واخذ معه العدة التى ذكرناها ومشى إلى أن وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى : انا الكاتب الحاسب المنجم ، أكتب الكتاب ، واحكم الحجاب ، واحسب الحساب ، واخط بأقلام المطالب ، فأين الطالب .

فلما سمع أهل المدينة هذا الكلام — وكانوا مدة من الزمان مارأوا حاسبا ولا منجما — وقفوا حوله وتأملوه ، فتعجبوا من حسن صورته



ورونق شبابه ، وقالوا له : بالله عليك يا مولانا لا تفعل بنفسك هـذه الفعال طمعا فى زواج بنت الملك الغيور ، وانظر بعينك إلى هذه الرءوس المعلقة فإن اصحابها كلهم قتلوا من اجل هذه الحال ، فآل بهم الطمع إلى الوبال .

فلم يلتفت قمر الزمان إلى كلامهم بل رفع صوته : « انا كاتب حاسب ، اقرب المطالب للطالب » ، فتداخل عليه الناس .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٢٦

(فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان نهاه الناس فلم يسمع كلامهم ، بل رفع صوته ونادى : « انا الكاتب الحاسب ، أقرب المطالب للطالب » ، فاغتاظوا جميعا وقالوا له : ما انت إلا شاب مكابر احمق ، ارحم شبابك وصغر سنك وحسنك وجمالك .

فصاح قمر الزمان وقال : انا المنجم والحاسب ، فهل من طالب ؟

فبينما الناس ينهون قمر الزمان عن هذه الحـال ، إذ سمع الملك الغيور الصياح وضجة الناس ، فقال للوزير : انزل فائتنا بهذا المنجم .

فنزل الوزير واخذ قمر الزمان ، فلما دخل قمر الزمان على الملك قبل الارض بين يديه ، وانشد هذين البيتين :

ثمانية فى المجـد حزت جميعها فلا زال خداما بهن لـك الدهر
يقينك والتقوى ومجدك والندى ولفظكْ والمعنى وعزك والنصر

فلما نظر الملك الغيور إليه اجلسه إلى جانبه ، واقبل عليه وقال له : يا ولدى لا تجعل نفسك منجما ولا تدخل على شرطى ، فإنى الزمت نفسى أن كل من دخل على بنتى ولم يبرئها مما اصابها ضربت عنقه ،

وكل من ابراها زوجته لها . فلا يغرنك حسنك وجمالك ، وقدك واعتدالك ؛ والله والله إن لم تبرئها لأضربن عنقك .

فقال قمر الزمان : قبلت منك هذا الشرط .

فأشهد عليه الملك الغيور القضاة ، وسلمه إلى الخادم وقال له : اوصل هذا إلى السيدة بدور .

فأخذه الخادم من يده ومشى به فى الدهليز ، فصار قمر الزمان يسابقه وصار الخادم يقول له : ويلك لا تعجل إلى هلاك نفسك ، فوالله ما رأيت منجما يعجل إلى هلاك نفسه إلا انت ، ولكنك لم تعرف اى شيء قدامك من الدواهى .

فأعرض قمر الزمان عن الخادم .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٢٧

(فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان اعرض بوجهه عن الخادم ، وانشد هذه الأبيات :

أنا عارف بصفات حسنك ، جاهل ... متحير لم ادر ما انا قائل
إن قلت شمس كان حسنك لم يغب ... عنى وعهدى بالشموس اوافل
كملت محاسنك التى فى وصفها ... عجز البليغ وحار فيها القائل

ثم إن الخادم اوقف قمر الزمان خلف الستارة التى على الباب ، فقال له قمر الزمان : اى الحالتين احب إليك .. كونى أداوى سيدتك وأبرئها من هنا او داخل الستارة ؟

فتعجب الخادم من كلامه وقال له : إن ابراتها من هنا كان ذلك زيادة فى فضلك .

فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة ، واطلع الدواة والقلم وكتب فى ورقة هذه الكلمات : « من برح به الجفاء فدواؤه الوفاء ، والبلاء لمن يئس من حياته وأيقن بحلول وفاته ، وما لقلبه الحزين من مسعف ولا معين ، وما لطرفه الساهر على الهم ناصر ؛ فنهاره فى لهيب وليله فى تعذيب ، وقد انبرى جسمه من كثرة النحول ولم يأته من حبيبه رسول » . ثم كتب هذه الأبيات :

كتبت ولى قـلب بذكـرك مولع ... وجفن قـريح من دمائى يدمـع

وجسم كساه لاعج الشوق والأسى ... قميص نحول فهو فيه مضعضـع

شكوت الهوى لما اضر بى الهوى ... ولم يبق عندى للتصبر موضـع

إليك ،فجودى وارحمى وتعطفى ... فإن فؤادى بالهـوى يتقطـع

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات : « شفاء القلوب لقاء المحبوب . من جفاه حبيبه فالله طبيبه . من خان منكم ومنا لا نال ما يتمنى . ولا اظرف من المحب الوافى إلى الحبيب الجافى » ، ثم كتب فى الإمضاء « من الهائم الولهان العاشق الحيران ؛ من اقلقه الشوق والغرام اسير الوجد والهيام . قمر الزمان ابن الملك شهرمان . إلى فريدة الزمان ونخبة الحور الحسان ؛ السيدة بدور بنت الملك الغيور . اعلمى اننى فى ليلى سهران ؛ وفى نهارى حيران ، زائد النحولّ والاسقام ، والعشق والغرام ، نديم السقام ، فأنا السهران الذى لا تهجع مقلته ، والمتيم الذى لا ترقأ عبرته ، فنار قلبى لا تطفأ ، ولهيب شوقى لا يخفى » ؛ ثم فى حشية الكتاب ، هذا البيت المستطاب :

سلام من خزائن لطـف ربى ... على من عنـدها روحى وقـلبى

وكتب ايضا :

هبوا لى حديثا من حديثكم عسى ... به ترحمـونى او يقـر جنـانى

ومن شغفى فيكم ووجـدى اننى ... أهون ما القاه وهـو هـوانى

رعى الله قوما شط عنى مزارهم ... وصنت لهـم سرا باى مـكـان

وها أنا ذا جاد الزمان بفضلـــله وفى ترب أعتاب الحبيب رمانى
رايت بدورا فى الفراش بجانبى زها قمرى من شمســـها بزمانى

ثم إن قمر الزمان بعد ان خـــتم الكتاب كتب فى عنـــوانه هـــذه الأبيات :

ســـلى كتـــابى عما خطه قلمى فالرسم يخبر عن وجدى وعن المى
يدى تخـــط ودمع العين منهمل قد يشتكى الشوق للقرطاس من سقمى
مازال دمعى على القرطاس منسكبا إن انقضت أدمعى اتبعتها بدمى

ثم كتب ايضا :

ارسلت خاتمك الذى استبدلته يوم التواصل فابعثى لى خاتمى

وكان وضع خاتم السيدة بدور فى طى الكتاب ، ثم ناول الكتاب للخادم .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٢٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان لما وضع الخاتم فى الورقة ناولهـــا للخادم ، فأخذها ودخل بها إلى السيدة بدور فاخذتها من الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها بعينه ، ثم قرات الورقة فلما عرفت المقصود علمت ان معشوقها قمر الزمان وانه هو الواقف خلف الستار ، فطار عقلها من الفرح ، واتسع صدرها وانشرح ، ومن فرط المسرات ، انشـــدت هذه الأبيات :

ولقد ندمت على تفـــرق شملنا دهـــرا وفاض الدمع من اجفانى
ونذرت إن عـــاد الـــزمان يلمنا لا عدت اذكر فـــرقة بلســـانى

هجــم السرور علىّ حــتى انه　　　من فرط ما قــد سرنى ابكانى
يا عين صار الدمع منك ســجية　　　تبكين فى فــرح وفى احــزان

فلما فرغت السيدة بدور من شعرها قامت من وقتها وثبتت رجليها فى الحائط ، واتكأت بقوتها على الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل ، وخرجت من خلف الستارة والقت بنفسها على قمر الزمان وقبلته وعانقته من شدة ما بها من الغرام ، وقالت له : يا سيدى هل هذا يقظة او منام ؟ وقد منّ الله علينا بجمع شملنا .

ثم حمدت الله وشكرته على جمع شملهما بعد اليأس . فلما رآها الخادم على تلك الحال ذهب يجرى حتى وصل إلى الملك الغيور ، فقبل الأرض بين يديه وقال له : يا مولاى اعلم ان هذا المنجم اعلم المنجمين كلهم ، فإنه داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها .

فقال الملك للخادم : اصحيح هذا الخبر ؟

فقال الخادم : يا سيدى قم وانظر إليها كيف قطعت السلاسل الحديد ، وخرجت للمنجم تقبله وتعانقه .

فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على ابنته ، فلما راته نهضت قائمة وغطت راسها ، وانشدت هذين البيتين :

لا احب الســواك من اجــل انى　　　إن ذكرت السّواك قلت سواكا
واحــب الأراك من اجــل انى　　　إن ذكــرت الأراك قلت أراكا

ففرح ابوها بسلامتها وقبلها بين عينيها ، لأنه كان يحبها محبة عظيمة . واقبل الملك الغيور على قمر الزمان وساله عن حاله ، وقال له : من اى البلاد انت ؟

فاخبره قمر الزمان بشأنه ، واعلمه ان والده الملك شهرمان . ثم إن قمر الزمان قص عليه القصة من اولها إلى آخرها ، واخبره بجميع ما اتفق له مع السيدة بدور ، وكيف أخذ الخاتم من اصبعها والبسها خاتمه . فتعجب الملكُ الغيور من ذلك وقال : إن حكايتكما لابد ان تؤرخ فى الكتب ، وتقرا بعدكما جيلا بعد جيل .

ثم إن الملك الغيور احضر القضاة والشهود من وقتــه ، وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وامر بتزيين المدينة سبعة أيام . ثم مدوا السماط والأطعمة ، وتزينت المدينة وجميع العساكر ، واقبلت البشائر ، ودخل قمر الزمان على السيدة بدور ، وفرح ابوها بعافيتها وزواجها ، وحمد الله الذى اوقعها فى حب شاب مليح من ابناء الملوك . ثم جلوها عليه ، وكان يشبه بعضهما بعضا فى الحسن والجمال ، والظرف والدلال .. ونام قمر الزمان عندها تلك الليلة ، وتعانقا إلى الصباح .

وفى اليوم الثانى اولم الملك وليمة ، وجمع جميــع اهل الجــزائر الجوانية والجزائر البرانية وقدم لهم الأسمطة ، وامتدت الموائد مدة شهر كامل ، وبعد ذلك تذكر قمر الزمان أباه ، ورآه فى المنام يقول له : يا ولدى اهكذا تفعل معى هذه الفعال ؟ وانشد فى المنام هذين البيتين :

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده ووكل اجفــانى برعى كواكبــه

فيا كبدي مهلا عساه يعود لى ويا مهجتى صبرا على ما كواك به

ثم إن قمر الزمان لما راى والده فى المنام يعاتبه . اصبح حزينا واعلم زوجته بذلك .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٢٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان لما راى والده فى المنام يعاتبه ، اصبح حزينا واخبر زوجته السيدة بدور بذلك ، فدخلت هى وهو على والدها واعلماه واستأذنا فى السفر ، فأذن له فى السفر فقالت السيدة بدور : يا والدى لا اصبر على فراقه .



فقال لها والدها : سافرى معه .

واذن لها فى الإقامة معه سنة كاملة وبعد السنة تجىء لتزور والدها فى كل عام مرة . فقبلت يد ابيها وكذلك قمر الزمان ، ثم شرع الملك الغيور فى تجهيز ابنته هى وزوجها ، وهيأ لهما أدوات السفر ، واخرج لهما الخيول والهجان وأخرج لابنته محفة ، وحمل لهما البغال والهجان واخرج لهما ما يحتاجان إليه فى السفر . وفى يوم المسير ودع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه خلعة سنية من الذهب مرصعة بالجواهر ، وقدم له خزنة مال وأوصاه بابنته بدور ، ثم خرج معهما إلى طرف الجزائر . وبعد ذلك ودع قمر الزمان ، ثم دخل على ابنته بدور وهى فى المحفة وصار يعانقها ويبكى ، وانشد هذين البيتين :

يا طالبا للفراق صبرا	فمتعة العاشق العناق
مهلا فطبع الزمان غدر	وآخر العشرة الفراق

ثم خرج من عند ابنته واتى إلى زوجها قمر الزمان فصار يودعه ويقبله . ثم فارقهما وعاد إلى جزائره بعسكره بعد ان أمرهما بالرحيل . فسار قمر الزمان و وزوجته السيدة بدور ومن معهم من الاتباع أول



يوم والثانى والثالث والرابع ، ولم يزالوا مسافرين مدة شهر ، ثم نزلوا فى مرج واسع كثير الكلأ ، وضربوا خيامهم فيه واكلوا وشربوا واستراحوا . ونامت السيدة بدور فدخل عليهـا قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بدنها قميص مشمشى من الحرير ، وفوق راسها كوفية من الذهب مرصعة بالجواهر ، فزاد محبة وعياما وانشد هذين البيتين :

لو قيل لى وزغير الحر متقد   والنار فى القلب والأحشاء تضطرم
اهم تريد وتهوى أن تشاهدهم   أو شربة من زلال الماء قلت : هم

ونظر قمر الزمان فرأى فصا احمر مثل العندم بين نهديها . وعليه أسماء منقوشة سطرين بكتابة لا تقرأ ، فتعجب قمر الزمان من ذلك الفص وقال فى نفسه : إن هذا الفص له امر عظيم ، فماذا تصنع به ؟ وما السر الذى هو فيه ؟

ثم أخذه وخرج من الخيمة ليبصره فى النور .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد انه صار يتأمل فيه ، وإذا بطائر انقض عليه وخطفه من يده وطار به وحط على الأرض . فخاف قمر الزمان على الفص وجرى خلف الطائر ، وصار الطائر يجرى على قدر جرى قمر الزمان ، وسار قمر الزمان خلفه من واد إلى واد ، ومن تل إلى تل ، إلى أن دخل الليل واشتد الظلام ، فنام الطائر على شجرة عالية ، فوقف قمر الزمان تحتها



وصار باهتا وقد ضعف من الجوع وظن انه هالك ، وأراد أن يرجع فما عرف الموضع الذى جاء منه .

ولما هجم عليه الظلام قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ثم نام تحت الشجرة التى فوقها الطائر إلى الصباح ، ثم انتبه من نومه فوجد الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة فمشى قمر الزمان خلفه ، وصار ذلك الطائر يطير قليلا بقدر مشى قمر الزمان ، فتبسم قمر الزمان وقال : يا لله للعجب ! إن هذا الطائر كان بالأمس يطير بقدر

جريى ، وفى هذا الصباح علم انى اصبحت تعبا لا اقدر على الجرى فصار يطير على قدر مشيى ، إن هذا عجيب . ولكن لابد ان اتبع هـذا الطائر فإما ان يقودنى إلى حياتى وإما إلى مماتى ، فانا اتبعه اينما يتوجه لانه على كل حال لا يقيم إلا فى البلاد العامرة .

ثم إن قمر الزمان جعل يمشى تحت الطائر والطائر يبيت فى كل ليلة على شجرة ، ولم يزل يتابعه مدة عشرة ايام وقمر الزمان يتقوت من نبات الأرض ويشرب من الأنهار . وبعد العشرة الأيام اشرف على مدينة عامرة ، فمر الطائر فى تلك المدينة مثل لمح البصر وغاب عن قمر الزمان ولم يعرف اين راح . فتعجب قمر الزمان وقال : « الحمد لله الذى سلمنى حتى وصلت إلى هذه المدينة » . ثم جلس عند الماء وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة ، وتذكر ما كان فيه من الراحة ونظر إلى ما هو فيه من الغربة والجوع والتعب ، فانشد يقول :

اخفيت ما القاه منه وقد ظهـر   والنوم من عينى تبدل بالسـهر
ناديت لما اوهنت قلبى الفكر   يا دهر لا تبقى علىّ ولا تذر
ها مهجتى بين المشقة والخطـر

لو كان سلطان المحبة منصـفى   ما كان نومى من عيونى قد نفى
يا سـادتى رفقا بصـب مدنف   وتعطفـوا لعـزيز قوم ذل فى
شرع الهـوى وغنى قـوم إفتقر

لج العـواذل فيـك ما طاوعتهم   وسددت كل مسامعى وعصيتهم
قالوا عشـقت مهفهفـا فأجبتهم   اخـترته من بينهـم وتركتهـم
كفوا ، إذا وقع القضا عمى البصر

ثم إن قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح ، دخل باب المدينة . .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح ، دخل باب المدينة وهو لا يعلم اين يتوجه ، فمشى فى المدينة جميعها ، وقد كان دخل من باب البر ولم يزل يمشى إلى ان خرج من باب البحر فلم يقابله احد من اهلها وكانت مدينة على جانب البحر . ثم إنه بعد أن خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشيا حتى وصل إلى بساتين المدينة ، وشق بين الأشجار فاتى إلى بستان ووقف على بابه ، فخرج إليه الخولى ورحب به وقال : الحمد لله الذى اتى بك سالما من اهل هذه المدينة ، فادخل هذا البستان سريعا قبل ان يراك أحد من أهلها .

فعند ذلك دخل قمر الزمان ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولى : ما حكاية أهل هذه المدينة ؟ وما خبرهم ؟

فقال له : اعلم ان أهل هذه المدينة كلهم مجوس ، فبالله عليك أخبرنى كيف وصلت إلى هذا المكان ، وما سبب دخولك فى بلادنا .

فعند ذلك أخبره قمر الزمان بجميع ما جرى له ، فتعجب الخولى من ذلك غاية العجب وقال له : اعلم يا ولدى أن بلاد الإسلام بعيدة من هنا ، فبيننا وبينها أربعة اشهر فى البحر أما فى البر فسنة كاملة . وإن عندنا مركبا يقلع ويسافر كل سنة ببضائع إلى أول بلاد الإسلام ، ويسير من هنا إلى بحر جزائر الآبنوس ومنه إلى جزائر خالدات ، وملكها يقال له السلطان شهرمان .

فعند ذلك تفكر قمر الزمان فى نفسه ساعة زمانية ، وعلم انه لا اوفق له من قعوده فى البستان عند الخولى ويعمل عنده « مرابعا » فقال للخولى : هل تقبلنى عندك مرابعا فى البستان ؟

فقال له الخولى : سمعا وطاعة .

ثم علمه تحويل الماء بين الأشجار ، فصار قمر الزمان يحول الما. ويقطع الكلأ بالفأس ، وألبسه الخولى « بشتا » قصيرا أزرق يصل إلى ركبتيه ، وصار يسقى الأشجار ويبكى بالدموع الغزار وينشد الأشعار بالليل والنهار فى معشوقته ، فمن جملة ذلك هذه الأبيات :

لنا عندكم وعد فهلا وفيتم ... وقلتم لنا قولا فهلا فعلتم
سهرنا على حكم الغرام ونمتم ... وليس سواء ساهرون ونوم
وكنا عهدنا أننا نكتم الهوى ... فأغراكم الواشى وقال وقلتم
فيا أيها الأحباب فى السخط والرضا ... على كل حال أنتم القصد أنتم
ولى عند بعض الناس قلب معذب ... فيا ليته يرثى لحالى ويرحم
وما كل عين مثل عينى قريحة ... ولا كل قلب مثل قلبى متيم
ظلمتم وقلتم إنما الحب ظالم ... صدقتم كذا كان الحديث صدقتم
سلوا مغرما لا ينقض الدهر عهده ... ولو كان فى أحشائه النار تضطرم
إذا كان خصمى فى الصبابة حاكمى ... لمن اشتكى خصمى ؟ لمن اتظلم
ولولا افتقارى فى الهوى وصبابتى ... لما كان لى فى العشق قلب متيم

هذا ما كان من أمر قمر الزمان ابن الملك شهرمان .

وأما ما كان من أمر زوجته السيدة بدور بنت الملك الغيور ، فإنها لما استيقظت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ، وتفقدت الفص فلم تجده ، فقالت فى نفسها : يالله للعجب ! اين معشوقى ؟ لعله أخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذى هو فيه ، فيا ترى اين راح ؟ ولكن لابد له من أمر عجيب اقتضى رواحه فإنه لا يقدر ان يفارقنى ساعة ، فلعن الله الفص ولعن ساعته .

ثم إن السيدة بدور تفكرت وقالت فى نفسها : إن خرجت إلى الحاشية واعلمتهم بفقد زوجى يطمعوا فى ، ولكن لابد من الحيلة .

ثم إنها لبست ثياب قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته وضربت على وجهها لثاما ، وحطت فى محفتها جارية ، وخرجت من خيمتها



وصاحت على الغلمان فقدموا لها الجواد ، فركبت وأمرت بشد الأحمال ، وسافروا واخفت أمرها لأنها كانت تشبه قمر الزمان فما شك أحـد أنها قمر الزمان بعينه ، وما زالت مسافرة هي واتباعها أياما وليالي حتى اشرفت على مدينة مطلة على البحر المالح ، فنزلت بظاهرها وضربت خيامها في ذلك المكان لأجل الاستراحة ، ثم سالت عن هذه المدينة فقيل لها : هذه مدينة الآبنوس ، وملكها الملك ارمانوس ، وله بنت اسمها حياة النفوس .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٣٢

(فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما نزلت بظاهر مدينة الآبنوس لأجل الاستراحة ، ارسل الملك ارمانوس رسولا من عنده يكشف له خبر هذا الملك النازل بظاهر المدينة ، فلما وصل إليهم الرسول سألهم فأخبروه ان هذا ابن الملك تائه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالدات والملك شهرمان . فعاد الرسول إلى الملك ارمانوس واخبره بالخبر ، فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام نزل هو وارباب دولته إلى مقابلته ، فلما قدم على الخيام ترجلت السيدة بدور وترجل الملك ارمانوس ، وسلما على بعضهما بعضا ، واخذها ودخل بها إلى مدينته وطلع بها إلى قصره ، وأمر بمد السماط وموائد الأطعمة ، وأمر بنقل السيدة بدور إلى دار الضيافة فأقامت هناك ثلاثة ايام . وبعد ذلك اقبل الملك ارمانوس على السيدة بدور — وكانت دخلت فى ذلك اليوم الحمام ، وأسفرت عن وجه كأنه البدر عند التمام — فافتتن بها العالم وتهتكت بها الخلق عند رؤيتها . فعند ذلك اقبل الملك ارمانوس عليها وهى لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها : يا ولدى ، اعلم انى صرت شيخا هرما وعمرى ما رزقت ولدا غير بنت ، وهى على شكلك وقدك فى الحسن والجمال ، وعجزت عن الملك فهل لك يا ولدى ان تقيم بأرضى وتسكن بلادى ، وازوجك ابنتى واعطيك مملكتى ؟

فأطرقت السيدة بدور ، وعرق جبينها من الحياء وقالت فى نفسها : كيف يكون العمل وانا امرأة ؟ فإن خالفت أمره وسرت ربما ارسل خلفى جيشا يقتلنى ، وإن اطعته ربما افتضح وقد فقدت محبوبى قمر الزمان ولم اعرف له خبرا ، ومالى خلاص إلا ان اجيبه إلى قصده واقيم عنده حتى يقضى الله امرا كان مفعولا .

ثم إن السيدة بدور رفعت راسها واذعنت للملك بالسمع والطاعة ، ففرح الملك بذلك وامر المنادى ان ينادى فى جزائر الآبنوس بالفرح والزينة ، وجمع الحجاب والنواب والأمراء والوزراء وارباب دولته وقضاة مدينته ، وعزل نفسه من الملك وسلطن السيدة بدور والبسها بذلة الملك ، ودخل الأمراء جميعا على السيدة بدور وهم لا يشكون فى انها شاب .

فلما تسلطنت الملكة بدور ودقت لها البشائر بالسرور ، شرع الملك ارمانوس فى تجهيز إبنته حياة النفوس ، وبعد ايام قلائل ادخلوا السيدة بدور على حياة النفوس فكانتا كانهما بدران اجتمعا ، او شمسان فى وقت طلعا ، فردوا عليهما الأبواب وارخوا الستائر بعد ان اوقدوا لهما الشموع وفرشوا لهما الفرش ، فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حياة النفوس فتذكرت محبوبها قمر الزمان واشتدت بها الأحزان ، فسكبت العبرات ، وانشدت هذه الأبيات :

يا راحلين وقلبى زائد القلق	لم يبق بينكم فى الجسم من رمق
قد كان لى مقلة تشكو السهاد وقد	اذابها الدمع يا ليت السهاد بقى
لما رحلتم اقام الصب بعدكم	لكن سلوا عنه ماذا فى البعاد لقى
لولا جفونى وقد فاضت مدامعها	توقدت عرصات الأرض من حرقى
اشكو إلى الله احبابا عدمتهم	لم يرحموا صبوتى فيهم ولا قلقى
لا ذنب لى عندهم إلا الغرام بهم	والناس بين سعيد فى الهوى وشقى

ثم إن السيدة بدور لما فرغت من إنشادها جلست إلى جانب السيدة حياة النفوس وقبلتها فى فمها ، ونهضت من وقتها وساعتها فتوضأت ، ولم تزل تصلى حتى نامت السيدة حياة النفوس ، ثم دخلت السيدة بدور معها فى الفراش وادارت ظهرها إلى الصباح . فلما طلع النهار دخل الملك هو وزوجته إلى ابنتهما وسألاها عن حالها ، فاخبرتهما بما جرى وما سمعته من الشعر .

هذا ما كان من امر حياة النفوس وابويها .

واما ما كان من امر الملكة بدور فإنها خرجت وجلست على كرسى المملكة ، وطلع إليها الامراء وأرباب الدولة وجميع الرؤساء والجيوش ، وهنئوها بالملك وقبلوا الارض بين يديها ودعوا لها . فاقبلت عليهم وتبسمت ، وخلعت عليهم وزادت فى إقطاع الامراء فأحبها العسكر والرعية ، ودعوا لها بدوام الملك وهم يعتقدون انها رجل . ثم إنها أمرت ونهت وحكمت وعدلت ، واطلقت من فى الحبوس وابطلت المكوس ، ولم تزل قاعدة فى مجلس الحكومة إلى ان دخل الليل . ثم دخلت المكان المعد لها فوجدت السيدة حياة النفوس جالسة ، فجلست بجانبها ولاطفتها وقبلتها بين عينيها ، وانشدت هذه الابيات :

قد صار سرى بالدموع علانيه	ونحول جسمى فى الغرام علانيه
اخفى الهوى ويذيعه الم النوى	حالى على الواشين ليست خافيه
يا راحلين عن الحمى خلفتم	جسمى بكم مضنى ونفسى بالية
وسكنتم غور الحشا ، فنواظرى	تجرى مدامعها وعينى داميه
وانا فداء الغائبين بمهجتى	ابدا واشواقى إليهم باديه
لى مقلة مقروحة فى حبهم	جفت الكرى ودموعها متواليه
ظن العدا منى عليه تجلدا	هيهات ما اذنى إليهم واعيه
خابت ظنونهم لدى وإنما	تمر الزمان به انال امانيه
جمع الفضائل ما حواها قبله	احد سواه فى العصور الخاليه
انسى الانام بجوده وبعفوه	كرم ابن زائدة وحلم معاويه
لولا الإطالة والقريض مقصر	عن حصر حسنك لم ادع من قافيه

ثم إن الملكة بدور نهضت قائمة على اقدامها ، ومسحت دموعها وتوضأت وصلت ، ولم تزل تصلى إلى ان غلب النوم على السيدة حياة النفوس فنامت ، فجاءت الملكة بدور ورقدت بجانبها إلى الصباح ،

ثم قامت وصلت الصبح وجلست على كرسى المملكة ، وأمرت ونهت ، وحكمت وعدلت .

هذا ما كان من أمرها .

واما ما كان من أمر الملك ارمانوس فإنه دخل على ابنته وسألها عن حالها ، فأخبرته بجميع ما جرى لها ، وانشدته الشعر الذى قالته الملكة بدور وقالت : يا ابى ما رايت احدا اكثر عقلا وحياء من زوجى ، غير انه يبكى ويتنهد .

فقال لها ابوها : يا ابنتى اصبرى عليه فما بقى غير هذه الليلة الثالثة ، فإن لم يؤد حق الزوج يكن لنا معه راى وتدبير ، واخلعه من الملك وانفيه من بلادنا .

فاتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر هذا الراى .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٣٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك ارمانوس اتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر هذا الراى ، ولما اقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة إلى القصر ودخلت المكان الذى هو معد لها ، فرات الشمع موقدا والسيدة حياة النفوس جالسة ، فتذكرت زوجها وما جرى بينهما فى تلك المدة اليسيرة ، فبكت ووالت الزفرات ، وانشدت هذه الأبيات :

قسما لقد ملأت احاديثي الفضا ... كالشمس مشرقة على ذات الغضا

نطقت إشارته فاشكل فهمها ... فلذاك شوقى فى المزيد وما انقضى

ابغضت حسن الصبر مذ احببته ... ارايت صبرا فى الصبابة مبغضا

وممرض اللحظات صـال بفتكها ... واللحظ اقيل ما يكون ممـرضا
السقى ذوائبـه وحـط لشـامه ... فرايت منه الحسن أسود أبيضا
سـقمى وبـرئى فى يديه وإنما ... يشفى سقام الحب من قد أمرضا
هام الوشـاح برقـة فى خصره ... والردف من حسد ابى أن ينهضا
وكـأن طرته وضـوء جبينـه ... ليل دجـا فاعتـاقه صبح اضـا

فلما فرغت من إنشادها ارادت ان تقوم إلى الصلاة ، وإذا بحياة النفوس تعلقت بذيلها وقالت لها : يا سيدى ، أما تستحى من والدى وما فعل معك من الجميل ، وانت تتركنى إلى هذا الوقت ؟

فلما سمعت منها ذلك جلست فى مكانها وقالت لها : يا حبيبتى ما الذى تقولينه ؟

قالت : الذى اقوله انى ما رايت احدا معجبا بنفسه مثلك ، فهل كل من كان مليحا يعجب بنفسـه هكذا ؟ ولكن أنا ما قلت هذا الكلام لأجل أن ارغبك فىّ ، وإنما قلته خيفة عليك من الملك ارمانوس فإنه اضمر إن لم تؤد حق الزوج ينزعك من المملكة فى غد ويسفرك من بلاده ، وربما يزداد به الغيظ فيقتلك ، وانا يا سيدى رحمتك ونصحتك والراى رايك .

فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام اطرقت إلى الأرض وتحيرت فى أمرها ، ثم قالت فى نفسها : إن خالفته هلكت وإن أطعته افتضحت ، ولكن انا فى هذه الساعة ملكة على جزائر الأبنوس كلها وهى تحت حكمى ، وما أجتمع أنا وقمر الزمان إلا فى هذا المكان ، لأنه ليس له طريق إلى بلاده إلا من جزائر الآبنوس ، وقد فوضت امرى إلى الله فهو نعم المدبر .

ثم إن الملكة بدور قالت لحياة النفوس : يا حبيبتى إن تركى لك وامتناعى عنك على الرغم منى .

وحكت لها ما جرى من المبتدا إلى المنتهى ، واطلعتها على امـرها

وقالت لها : سألتك بالله ان تخفى أمرى وتكتمى سرى حتى يجمعنى الله بمحبوبى قمر الزمان ، وبعد ذلك يكون ما يكون .

وادرك شهر زاد الصباح ؛ فسكتت عن الكلام المباح .

٢٣٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما اعلمت حياة النفوس بقصتها وامرتها بالكتمان ، تعجبت من ذلك غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها على محبوبها قمر الزمان . وقالت لها : يا اختى لا تخافى ولا تفزعى واصبرى إلى ان يقضى الله امر كان مفعولا .

ثم إن حياة النفوس انشدت هذين البيتين :

السر عندى فى بيت له غلق	قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم
ما يكتم السر إلا كل ذى ثقة	والسر عند خيار الناس مكتوم

فلما فرغت من شعرها قالت : يا اختى إن صدور الأحرار قبور الاسرار ، وانا لا افشى لك سرا .

ثم لعبتا وتعانقتا ونامتا إلى قريب الأذان . ثم قامت حياة النفوس واخذت دجاجة وذبحتها وتلطخت بدمها . ثم دخل اهلها وزغردت الجوارى ، ودخلت عليها امها وسألتها عن حالها واقامت عندها إلى المساء ، واما الملكة بدور فإنها لما اصبحت قامت وذهبت إلى الحمام واغتسلت وصلت الصبح . ثم توجهت إلى مجلس الحكومة وجلست على كرسى المملكة وحكمت بين الناس . فلما سمع الملك أرمانوس الزغاريد فرح بذلك واتسع صدره وانشرح ، واولم الولائم ، ولم يزالوا على تلك الحال مدة من الزمان .

هذا ما كان من أمرهما .

واما ما كان من امر الملك شهرمان والد قمر الزمان فإنه بعد خروج ولده إلى الصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم ، صبر حتى اقبل عليه الليل فلم يجىء ولده ، فتحير عقله ، ولم ينم تلك الليلة وقلق غـاية القلق : وزاد وجده واحترق ، وما صدق أن الفجر انشق حتى أصبح ينتظر ولده إلى نصف النهار فلم يجىء ، فأحس قلبه بالفراق ، والتهب على ولده من الإشفاق ، ثم بكى حتى بل ثيابه بالدموع ، وأنشد من قلب مصدوع :

ما زلت معترضا على اهل الهوى	حتى بليت بحلوه وبمره
وشربت كاس مراره متجرعا	وذللت فيه لعبده ولحره
نذر الزمان بأن يفرق شملنا	والآن قد اوفى الزمان بنذره

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى فى عسكره بالرحيل ، والحث على السفر الطويل ، فركب الجيش جميعه ، وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان ، وقلبه بالحزن ملآن ، ثم فرق جيشه يمينا وشمالا واماما وخلفا ست فرق وقال لهم : الاجتماع غدا عند مفرق الطريق . فتفرقت الجيوش والعسكر كما ذكرنا : ولم يزالوا مسافرين بقية النهار إلى ان جن الليل ، فساروا جميع الليل وإلى نصف النهار حتى وصلوا إلى مفرق اربع طرق ، فلم يعرفوا اى طريق سلكها . ثم رأوا اثر اقمشة مقطعة ، ورأوا اللحم مقطعا ، ونظروا اثر الدم باقيا ، وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم فى ناحية . فلما راى الملك شهرمان ذلك صرخ صرخة عظيمة من صميم القلب وقال : « واولداه ! » ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزق اثوابه ، وأيقن بموت ولده ، وزاد فى البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر ، وكلهم ايقنوا بهلاك قمر الزمان وحثوا على رءوسهم التراب ، ودخل عليهم الليل وهم فى بكاء ونحيب حتى اشرفوا على الهلاك . واحترق قلب الملك بلهيب الزفرات ، وانشد هذه الأبيات :

لا تعـذلوا المحزون فى احزانه ... فلقد كفاه الوجد من اشـجانه
يبكى لفـرط تأسـف وتوجـع ... وغـرامه ينبيـك عن نـيرانه
يا سـعد من لمتـيم حلف الضـنى ... ان لا يزيل الـدمع من اجفـانه
يبدى الغرام لفقـد بدر زاهـر ... بضـيائه يزهـو على اقـرانه
ولقد سقاه الموت كأسـا مترعا ... يوم الرحيـل فشـط عن اوطانه
ترك الديار وسـار عنـا للبلى ... لم يحظ بالتوديع من إخـوانه
ولقد رمانى بالبعـاد وبالجفـا ... والصد والتبريح من هجـرانه
ولقد مضى عنا وفارقنا ضـحى ... لمـا حبـاه ربـه بجنـانه

فلما فرغ من إنشاده رجع بجيوشه إلى مدينته .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٣٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المئتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما فرغ من إنشاده رجع بجيوشـه إلى مدينته ، وايقن بهلاك ولده ، وعلم انه عدا عليه وافترسه إما وحش وإما قاطع طريق . ثم نادى فى جزائر خالدات ان يلبسوا السواد من الأحزان على ولده قمر الزمان ، وعمل له بيتا وسماه بيت الاحزان ، وصار كل يوم خميس واثنين يحكم فى مملكته بين عسكره ورعيته . وبقية الجمعة يدخل بيت الاحزان وينعى ولده ويرثيه بالأشعار ، فمن ذلك قوله :

نفسى الفداء لظاعنين رحيلهـم ... انكى وافسـد فى القلوب وعاثا
فليقض عـدته السرور فإننـى ... طلقت بعـدهم لنعيم ثـلاثا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان .

وأما ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور ، فإنها صارت ملكة فى بلاد الآبنوس ، وصار الناس يشيرون إليها بالبنان ويقولون : هذا صهر الملك ارمانوس . وكل ليلة تنام مع السيدة حياة النفوس وتشتكى وحشة زوجها قمر الزمان ، وتصف لها حسنه وجماله ، وتتمنى ولو فى المنام وصاله .

هذا ما كان من امر الملكة بدور .

وأما ما كان من امر قمر الزمان فإنه لم يزل مقيما عند الخولى فى البستان ، مدة من الزمان ، وهو يبكى بالليل والنهار ، ويتحسر وينشد الأشعار على اوقات الهناءة والسرور . والخولى يقول : فى آخر السنة يسير المركب إلى بلاد المسلمين .

ولم يزل قمر الزمان على تلك الحال إلى ان رأى الناس مجتمعين بعضهم ببعض ، فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولى وقال له : يا ولدى ابطل الشغل فى هذا اليوم ولا تحول الماء إلى الأشجار . لان هـذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضا . فاسترح واحرس الغيط فإنى اريد ان ابصر لك مركبا . فما بقى إلا القليل وارسلك إلى بلاد المسلمين .

ثم إن الخولى خرج من البستان وبقى قمر الزمان وحده . فانكسر خاطره وجرت دموعه . ولم يزل يبكى حتى غشى عليه . فلما افاق قام يتمشى فى البستان وهو متفكر فيما فعل به الزمان وطول البعد والهجران . وعقله ولهان . فعثر ووقع على وجهه فجاءت جبهته على جذر شجرة فجرى دمه واختلط بدموعه . فمسح دمه ونشف دموعه وشد جبهته بخرقة . وقام يتمشى فى ذلك البستان وهو ذاهل العقل ، فنظر بعينه إلى شجرة فوقها طائران يتخاصمان . فغلب احدهما الآخر ونقره فى عنقه ففصل رأسه من جثته ، ثم اخذ راسه وطار به ، ووقع المقتول فى الأرض قدام قمر الزمان ، فبينما هو كذلك إذ بطائرين كبيرين



قد انقضا عليه ؛ ووقف واحد منهما عند راسه والآخر عند ذنبه ، وارخيا اجنحتهما عليه ومدا أعناقهما إليه وبكيا ، فبكى قمر الزمان على فراق زوجته حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائتين) وقالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك قمر الزمان بكى على مراق زوجته لما راى الطائرين ببكيان على صاحبهما . ثم إن قمر االزمان راى الطائرين حفرا حفرة ودفنا الطائر المقتول فيها ، وطارا إلى الجو وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل فنزلا به على قبر المقتول ، وبركا على القاتل حتى قتلاه وشقا جوفه واخرجا امعاءه وأراقا دمه على قبر الطائر المتتول ، ثم نثرا لحمه ومزقا جلده واخرجا ما فى جوفه وفرقاه إلى اماكن متفرقة . هذا كله جرى وقمر الزمان ينظر ويتعجب ، فحانت منه التفاتة إلى الموضع الذى قتلا فيه الطائر فوجد فيه شيئا يلمع ، فدنا منه فوجده حوصلة الطائر ، فاخذها وفتحها فوجد فيها النص الذى كان سبب فراقه من زوجته . فلما رآه وعرفه وقع على الارض مغشيا عليه من فرحته .. فلما افاق قال فى نفسه : هذا علامة الخير وبشارة الاجتماع بمحبوبتى .

ثم تأمله ومر به على عينه وربطه على ذراعه ، واستبشر بالخير وقام يتمشى لينظر الخولى ، ولم بزل يفتش عليه إلى الليل فلم يأت . فبات قمر الزمان فى موضعه إلى الصباح ، ثم قام إلى شغله وشد وسطه بحبل من الليف ، واخذ الفاس والقفة وشق فى البستان ، فأتى إلى شجرة خروب وضرب بالفاس فى جذورها فطنت الضربة ، فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقا ففتحه .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد بابا فنزل فيه ، فلقى قاعة قديمة من عهد ثمود وعاد ، وتلك القاعة واسعة وهى مملوءة ذهبا احمر ، فقال فى نفسه : لقد ذهب التعب وجاء الفرح والسرور .

ثم إن قمر الزمان طلع من المكان إلى ظاهر البستان ورد الطابق كما كان ، ورجع إلى البستان وتحويل الماء إلى الأشجار ، ولم يزل كذلك إلى آخر النهار ، فجاء الخولى وقال : يا ولدى ابشر برجوعك إلى الأوطان ، فإن التجار تجهزوا للسفر ، والمراكب بعد ثلاثة أيام تسافر إلى مدينة الآبنوس وهى أول مدينة من مدائن المسلمين . فإذا وصلت إليها تسافر فى البر ستة اشهر حتى تصل إلى جزائر خالدات والملك شهرمان .

ففرح قمر الزمان بذلك ، ثم قبل يد الخولى وقال له : يا والدى كما بشرتنى فأنا ابشرك ببشارة .

واخبره بأمر القاعة ، ففرح الخولى وقال : يا ولدى انا لى فى هذا البستان ثمانون عاما ما وقعت على شىء ، وانت لك عندى دون السنة وقد رايت هذا الأمر فهو رزقك ، وسبب زوال نكسك ، ومعين لك على وصولك إلى اهلك ، واجتماع شملك بمن تحب .

فقال قمر الزمان : لابد من القسمة بينى وبينك .

ثم اخذ الخولى ودخل فى تلك القاعة واراه الذهب وكان فى عشرين خابية ، فأخذ عشرا والخولى عشرا ، فقال له : يا ولدى عبى لك امطارا من الزيتون العصافيرى الذى فى هذا البستان فإنه معدوم فى غير بلادنا ، وتحمله التجار إلى جميع البلاد ، واجعل الذهب فى الأمطار والزيتون فوق الذهب ، ثم سدها وخذها فى المركب .



فقال قمر الزمان من وقته وساعته وعبأ خمسين مطرة ووضع الذهب فيها ، وسد عليه بعد أن جعل الزيتون فوق الذهب ، وحط النص معه فى مطرة ، وجلس هو والخولى يتحدثان ، وايقن بجمع شمله وقربه من أهله وقال فى نفسه : إذا وصلت إلى جزيرة الآبنوس ، أسافر منها إلى بلاد ابى ، واسأل عن محبوبتى بدور : فيا ترى هل رجعت إلى بلادها او سافرت إلى بلاد أبى أو حدث لها حادث فى الطريق .

ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الأيام ، وحكى للخولى حكاية الطيور وما وقع بينها ، فتعجب الخولى من ذلك ، ثم ناما إلى الصباح فأصبح الخولى ضعيفا ، واستمر على ضعفه يومين ، وفى ثالث يوم اشتد به الضعف حتى يئس من حياته ، فحزن قمر الزمان على الخولى . فبينما هو كذلك إذ بالريس والبحرية قد اقبلوا ، وسألوا عن الخولى

فاخبرهم بضعفه فقالوا : اين الشاب الذى يريد السفر إلى جزيرة الابنوس ؟

فقال لهم قمر الزمان : هو المملوك الذى بين أيديكم .

ثم أمرهم بتحويل الأمطار إلى المركب ، فنقلوها إلى المركب وقالوا لقمر الزمان : أسرع فإن الريح قد طابت .

فقال لهم : سمعا وطاعة ، ثم نقل زاده إلى المركب ورجع إلى الخولى يودعه فوجده فى النزع ، فجلس عند رأسه حتى مات فجهزه وواراه فى التراب ، ثم توجه إلى المركب فوجده أرخى



القلوع وسار ولم يزل يشق البحر حتى غاب عن عينه ، فصار قمر الزمان مدهوشا حيران ، ثم رجع إلى البستان وهو مهموم وحثا التراب على رأســـه .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٣٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان رجع إلى البستان وهو مهموم مغموم بعد ان سار المركب ، واستأجر البستان من صاحبه واقام تحت يده رجلا يعاونه على سقى الشجر ، وتوجه إلى الطابق ونزل إلى القاعة ، وعبا الذهب الباقى فى خمسين مطرة ووضع فوقه الزيتون ، وسأل عن المراكب فقالوا : إنه لا يسافر فى كل سنة مرة إلا واحد ؛ فزاد به الوسواس وتحسر على ما جرى له ، لاسيما ما سببه فقد الفص الذى للسيدة بدور ، فصار يبكى بالليل والنهار ، وينشد الأشعار .

هذا ما كان من أمر قمر الزمان .

وأما ما كان من أمر المركب فإنه طابت له الريح ووصل إلى جزيرة الآبنوس .. واتفق بالأمر المقدر ان الملكة بدور كانت جالسة فى الشباك فنظرت إلى المركب وقد رسا فى الساحل ، فخفق فؤادها وركبت هى والأمراء والحجاب ، وتوجهت إلى الساحل ، ووقفت على المركب وقد دار النقل فى البضائع إلى المخازن . فأحضرت الريس وسألته عما معه فقال : ايها الملك معى فى هذا المركب من العقاقير والسفوفات والأكحال والمراهم والأدهان والاموال والاقمشة الفاخرة ، والبضـــائع النفيسة ؛ ما يعجز عن حمله الجمال والبغال ، وفيها من اصناف العطر والبهار من العود القاقلى ، والتمر الهندى ، والزيتون العصافيرى ، ما يندر وجوده فى هذه البلاد .

فاشتهت نفسها الزيتون وقالت لصاحب المركب : ما مقدار الذى معك من الزيتون ؟

قال : معى خمسون مطرة ممنوءة ولكن صاحبها لم يحضر معنا ، والملك يأخذ ما اشتهاه منها .

فقالت : اخرجوها إلى البر لأنظر إليها .

فصاح الرئيس على البحرية فاخرجوا الخمسين مطرة ، ففتحت واحدة ، ونظرت الزيتون وقالت : انا وقالت : انا آخذ هذه الخمسين مطرة ثمنها مهما كان .

فقال الريس : هذه ليس لها فى بلادنا قيمة ، ولكن صاحبها تأخر عنا وهو رجل فقير .

فقالت : وما مقدار ثمنها ؟

قال : الف درهم .

قالت : انا آخذها بألف دينار .

ثم أمرت بنقلها إلى القصر ، فلما جاء الليل أمرت بإحضار مطرة ففتحتها ، وما فى البيت غيرها هى وحياة النفوس ، فوضعت بين يديها طبقا ووضعت فيه شيئا من المطرة ، فنزل فى الطبق كوم من الذهب الأحمر فقالت للسيدة حياة النفوس : ما هذا إلا ذهب .

ثم اختبرت الجميع فوجدتها كلها ذهبا ، والزيتون كله ما يملأ مطرة واحدة وفتشت فى الذهب فوجدت الفص فيه ، فاخذته وتأملته فوجدته الفص الذى كان على قميصها واخذه قمر الزمان ، فلما تحققته صاحت من فرحتها وخرت مغشيا عليها .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رات الفص صاحت من فرحتها وخرت مغشيا عليها ، فلما افاقت قالت فى نفسها : إن هذا الفص كان سببا فى فراق محبوبى قمر الزمان ، ولكنه بشير الخير .

ثم اعلمت السيدة حياة النفوس بأن وجوده بشارة الاجتماع ، فلما اصبح الصباح جلست على كرسى المملكة واحضرت ريس المركب ، فلما حضر قبل الأرض بين يديها فقالت : اين خليتم صاحب الزيتون ؟

قال : يا ملك الزمان تركناه فى بلاد المجوس ، وهو خولى بستان .

فقالت له : إن لم تأت به فلا تعلم ما يجرى عليك وعلى مركبك من الضرر .

ثم امرت بالختم على مخازن التجار وقالت لهم : إن صاحب هذا الزيتون غريمى ولى عليه دين ، وإن لم يات لأقتلنكم جميعا وانهب تجارتكم .

فاقبلوا على الريس ووعدوه باجرة مركبه ، وليرجع مرة ثانية وقالوا : خلصنا من هذا الغاشم .

فنزل الريس من المركب وحل قلوعه ، وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة فى الليل وطلع إلى البستان ، وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبته فقعد يبكى على ما جرى له وهو فى البستان ، ثم إن الريس دق الباب على قمر الزمان ففتح الباب وخرج إليه ، فحمله البحرية ونزلوا به إلى المركب وحلوا القلوع فسافروا ، وساروا ولم يزالوا سائرين أياما وليالى وقمر الزمان لا يعلم ما موجب ذلك ، فسالهم عن السبب فقالوا له : انت غريم الملك صاحب جزائر الآبنوس صهر الملك ارمانوس ، وقد سرقت ماله يا منحوس .

فقال : والله عمرى ما دخلت هذه البلاد ولا اعرفها .

ثم إنهم ساروا به حتى أشرفوا على جزائر الأبنوس وطلعوا به على السيدة بدور ، فلما راته عرفته وقالت : دعوه عند الخدام ، ليدخلوا به الحمام .

وافرجت عن التجار ، وخلعت على الريس خلعة تساوى عشرة آلاف دينار ، ودخلت على حياة النفوس واعلمتها بذلك وقالت لها : اكتمى الخبر حتى أبلغ مرادى ، واعمل عملا يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا .

وحين امرت ان يدخلوا بقمر الزمان الحمام ، دخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك . ولما طلع قمر الزمان صار كأنه غصن بان ، او كوكب يخجل من طلعته القمران ، وردت روحه إليه . ثم توجه إليها ودخل القصر ، فلما نظرته صبرت قلبها حتى يتم مرادها ، وانعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال ، واعطته خزانة مال . ولم تزل ترقى قمر الزمان من درجة إلى درجة حتى جعلته خازنا وسلمت إليه الاموال . واقبلت عليه وقربته منها ، واعلمت الامراء بمنزلته فاحبوه جميعهم . وصارت الملكة بدور كل يوم تزيد له فىَ المرتبات ، وقمر الزمان لا يعرف ما سبب تعظيمها له . ومن كثرة الأموال صار يهب ويتكرم ، ويخدم الملك ارمانوس حتى أحبه ، وكذلك احبه الأمراء والخواص والعوام وصاروا يحلفون بحياته . كل ذلك وقمر الزمان يتعجب من تعظيم الملكة بدور له ويقول فى نفسه : والله إن هذه المحبة لابد لها من سبب ، وربما كان هذا الملك يكرمنى هذا الإكرام الزائد لغرض فاسد ، فلابد أن استأذنه فى ان اسافر من بلاده .

ثم إنه توجه إلى الملكة بدور وقال لها : ايها الملك إنك اكرمتنى إكراما زائدا ، ومن تمام الإكرام ان تأذن لى فى السفر وتاخذ منى جميع ما انعمت به علىَّ .

فتبسمت الملكة بدور وقالت له : ما حملك على طلب الأسفار واقتحام الأخطار ، وانت فى الإكرام وتزايد الأنعام ؟

فقال له قمر الزمان : ايها الملك إن هذا الإكرام إذا لم يكن له سببه فإنه من أعجب العجب . وبالأخص قد أوليتنى من المراتب ما حقه أن يكون للشيوخ الكبار ، مع أننى من الأطفال الصغار .

فقالت له الملكة بدور : سبب ذلك انى احبك لفرط جمالك الفائق ، وبديع حسنك الرائق . وإن مكنتنى مما أريد ازيدك إكراما ، وعطاء وإنعاما ، وأجعلك وزيرا على صغر سنك ، كما جعلنى الناس سلطانا عليهم وانا فى هذه السن .

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ، خجل حتى صار خداه كالضرام ، وقال : لا حاجة لى بهذا الإكرام ، المؤدى إلى ارتكاب الحرام ، بل اعيش فقيرا من المال ، غنيا بالمروءة والكمال .

فضحكت الملكة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت : يا حبيبى ما اسرع ما نسيت ليالى بتناها .

وعرفته بنفسها ، فعرف أنها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور ، فاحتضنها واحتضنته وقبلها وقبلته .

ثم إن الملكة بدور اخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الأول إلى الآخر ، وكذلك هو اخبرها بجميع ما جرى له ، وبعد ذلك انتقل معها إلى العتاب .

فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، أرسلت الملكة بدور إلى الملك ارمانوس والد الملكة حياة النفوس واخبرته بحقيقة امرها ، وانها زوجة قمر الزمان ، واخبرته بقصتهما وبسبب افتراقهما .

فلما سمع الملك ارمانوس صاحب جزائر الآبنوس قصة الملكة بدور ، بنت الملك الغيور ، تعجب منها غاية العجب ، وامر ان يكتبوها بماء الذهب ، ثم التفت إلى قمر الزمان وقال له : يابن الملك هل لك أن تصاهرنى وتتزوج بنتى حياة النفوس ؟

فقال له : حتى اشاور الملكة بدور ، فإن لها على فضلا غير محصور .

فلما شاورها قالت له : نعم هذا الراى ، فتزوجها واكون لها جارية ، الان لها على معروفا وإحسانا ، وخيرا وامتنانا ، وبالأخص نحن فى محلها وقد غمرنا إحسان ابيها .

فلما راى قمر الزمان ان الملكة بدور مائلة إلى ذلك ، ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس ، اتفق معها على هذا الأمر .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٠

(**فلما كانت الليلة الموفية للأربعين بعد المائتين**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان اتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الأمر ، واخبر الملك ارمانوس بما قالته الملكة بدور من انها تحب ذلك وتكون جارية لحياة النفوس .

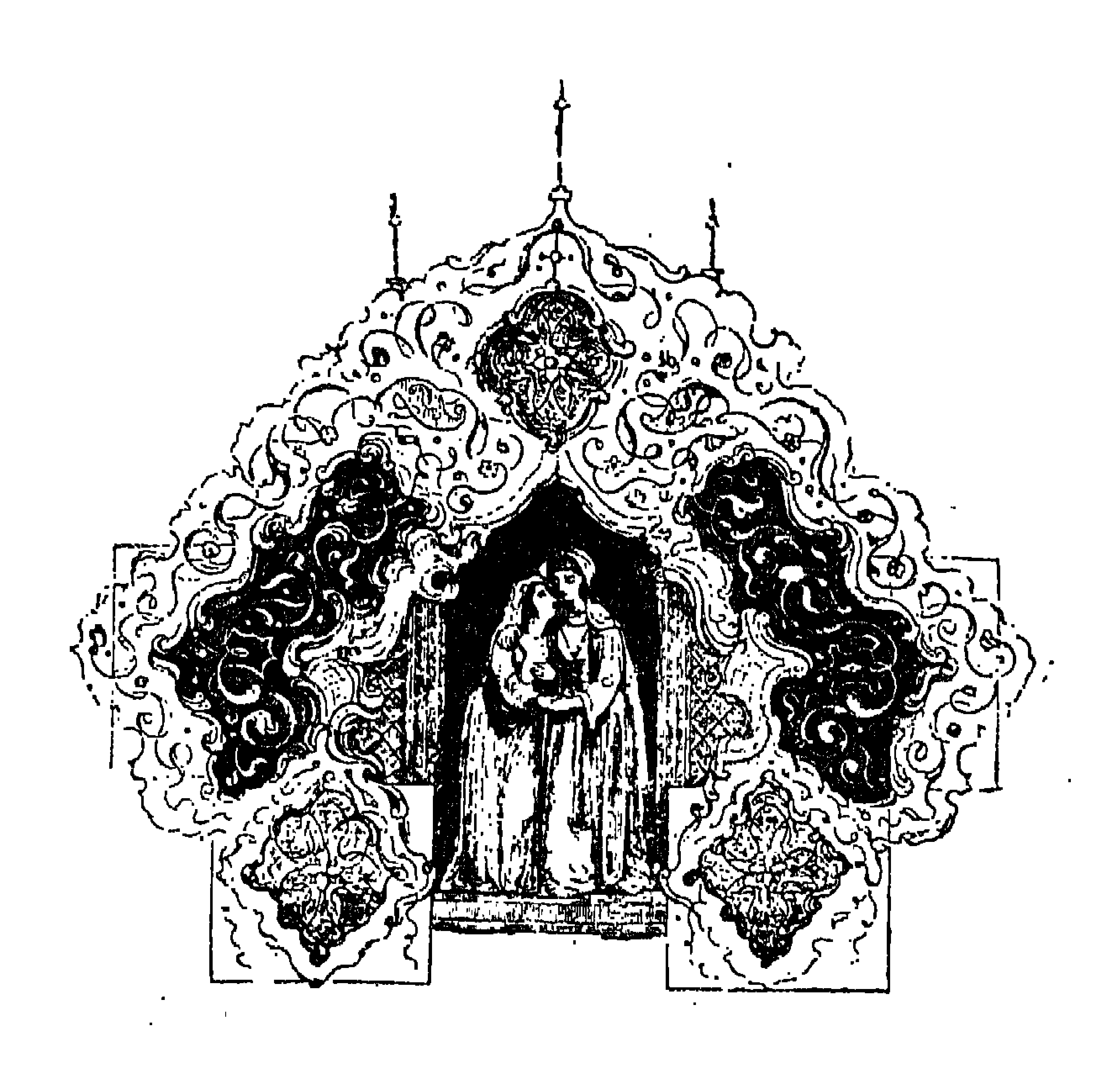
فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحا شديدا ، ثم خرج وجلس على كرسى مملكته واحضر جميع الوزراء والأمراء والحجاب وارباب الدولة ، واخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الأول إلى الآخر ، وانه يريد ان يزوج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطانا عليهم عوضا من زوجته الملكة بدور .

فقالوا جميعا : حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التى كانت سلطانا علينا قبله ، ونحن نظن انها صهر ملكنا ارمانوس فكلنا نرضاه سلطانا علينا ونكون له خدما ولا نخرج عن طاعته .

ففرح الملك ارمانوس بذلك فرحا شديدا ، ثم احضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة ، وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكة حياة

النفوس ، ثم إنه اقام الافراح واولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الأمراء ورؤساء العساكر ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، واطلق جميع المحابيس ، واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان ، وصاروا يدعون له بدوام العز والاقبال ، والسعادة والإجلال .

ثم إن قمر الزمان لما صار سلطانا عليهم ازال المكوس ؛ واطلق من بقى فى الحبوس ، وسار فيهم سيرة حميدة ، واقام مع زوجتيه فى هناءة وسرور ، ورفاء وحبور ، يبيت عند كل واحدة منهما ليلة ، ولم يزل على ذلك مدة من الزمان ، وقد انجلت عنه الهموم والأحزان ، ونسى اباه الملك شهرمان ، وما كان له عنده من عز وسلطان ، حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه بولدين ذكرين مثل القمرين النيرين ؛ اكبرهما من الملكة بدور وكان اسمه الملك الأمجد ، واصغرهما من الملكة حياة النفوس واسمه الملك الاسعد .



القصة التالية

الأمجد والأســـعد

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

١ ـ التاجر والعفريت
٢ ـ الصياد والعفريت
٣ ـ الحمال والبنات
٤ ـ نور الدين وشمس الدين
٥ ـ الخياط والأحدب
٦ ـ أنيس الجليس
٧ ـ غانم وقوت القلوب
٨ ـ العاشق والمعشوق
٩ ـ الطيور والحيوانات وابن آدم
١٠ ـ علي بكار وشمس النهار
١١ ـ قمر الزمان
١٢ ـ الأمجد والأسعد
١٣ ـ نعم ونعمة

دار مصر للطباعة